الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي سي الحواس_ بريكة _

معهد العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

واقع المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية من خلال رحلات بعض الأوروبيين في القرنين 18 -19م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

اعداد الطالبتين:

- زيدان خديجة
- محنش دليلة

اشراف الأستاذ:

_ سعدي خميسي

لجنـة المناقشة		
الأعضاء	**الصفة**	**الجامعة**
خنوف شعيب	رئيسا	المركز الجامعي بريكة
سعدي خميسي	مشرفا	المركز الجامعي بريكة
تومي الطاهر	مناقشا	المركز الجامعي بريكة

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لهذا لولا أن هدانا الله.

اللهم بارك لنا في عملنا هذا وارزقنا الخير فيه ما حيينا.

واجعل خير عمرنا آخره وخير عملنا خواتمه.

اللهم نسألك خير المسألة وخير الدعاء.

وخير النجاح وخير العلم وخير الثواب.

اللهم ثبتنا واجعل التوفيق حظنا في كل ما تحب وترضى،

يا رب العالمين.

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير، الذي كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي **والدي الحبيب أطال الله في عمره.**

إلى من أفضلها على نفسي، والتي وضعتي على طريق الحياة وجعلتني رابط الجأش واعتنت بي حتى صرت على ما أنا عليه، **أمي العزيزة رعاها الله دائما.**

إلى الذي لم يتهاون يوما في توفير السعادة لي **زوجي شمس الدين الغالي**، الذي كان السند المتين الذي حمى ظهري.

إلى جنتي وملاكي الصغير **ابنتي رتيل أرجوان**، إلى إخواني الذكور أطال الله في أعمارهم وحفظ لهم عائلاتهم، إلى قاماتي الأربعة اللواتي أنرن دربي **شقيقاتي البنات**، وفقهن الله في دربهن، وحفظ لهن عائلاتهن ولا ينبغي أن أنسى مشرفي وأستاذي الكريم **الدكتور سعدي خميسي** الذي لم يبخل عليّ بشئ طوال المسار الدراسي وأثناء البحث العلمي، إضافة إلى جميع الأساتذة الذين كان لهم الدور الكبير في مساندتي.

أهدي لكم هذا العمل المتواضع من أجل نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساندني أنا وزميلتي في هذا العمل، كما أشكر أستاذي الفاضل المشرف **الدكتور سعدي خميسي** على الجهد المبذول في توضيح معالم البحث.

كما أشكر السيد **كمال محبوبي مدير متوسطة محمد مهملي بريكة** الذي كان من أكثر المتفهمين والمتعاونين من أجل إنجاح هذا العمل أطال الله في عمره ورعاه.

خديجة

شكر وعرفان

الحمد والشكر أولا وأخيرا لله عز وجل الذي أنعم علي بإتمام انجاز هذا العمل المتواضع، قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنعَمْتَ عَلَيَّ﴾

سورة الأحقاف (الآية 15)

وثانيا أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف "الدكتور خميسي سعدي" على قبوله الإشراف على هذه المذكرة، وعلى صبره وحلمه وتعاونه وعلى كافة مجهوداته المبذولة ووقته الذي سخره في سبيل اخراجه في أحسن صيغة وعلى كافة نصائحه وتوجيهاته القيمة، فكل العرفان والتقدير لك أستاذي الفاضل، جعلها الله في ميزان حسناتك.

كما أشكر كافة الأساتذة الأفاضل الذين نلت شرف التكوين على أيديهم سواء من جامعة باتنة 1 أو من المركز الجامعي سي الحواس بريكة، كما لا أنسى أن أشكر الأساتذة الأفاضل الذين سأحظى بشرف مناقشتهم للمذكرة وعلى مجهوداتهم المبذولة.

وأشكر أيضا السيدة حنان براني مديرة ثانوية بريكة الجديدة على تفهمها وتقديرها لشخصي.

والسيدة مليكة خصام نائب المدير للدراسات على دعمها المتواصل لي.

دون أن أنسى الزميل والأستاذ الفاضل عباس ميدون على المساعدة والتعاون.

بالإضافة إلى زملائي وزميلاتي الذين وقفوا إلى جانبي طيلة سنتين وتفهموا انشغالي وتقصيري، أقول لكم شكرا جزيلا.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأختي سليمة على دعمها وتفهمها.

الإهـــــداء

إلى ينبوع الصبر ... إلى من كان دعاؤها سر نجاحي

وحنانها بلسم جراحي ... إلى القلب الناصع بالبياض

إلى **أمي الغالية رحمها الله**.

إلى روح أختي الغالية التي تمنيت حضورها هذه اللحظات وإلى أبنائها.

إلى أخي الوحيد أطال الله عمره وإلى أبنائه.

إلى أبناء أخي رحمه الله.

إلى كل من ضحى وأخلص في سبيل اعلاء كلمة العلم والحق:

علمائنا وأساتذتنا وشهدائنا ومجاهدينا.

دليلة

قائمة المختصرات:

المختصر	معناه
ط	طبعة
دط	دون طبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
تر	ترجمة
مج	مجلد
ددن	دون دار نشر
د س ن	دون سنة نشر

مقدمـــــة

يعتبر فن الرحلات من الفنون الأدبية الراقية، فقد انبرى لهذا الفن العديد من المغامرين والفضوليين الذين كانوا شغوفين بالسفر والتجوال في المناطق البعيدة، ليسجلوا كل ما شاهدوه بأعينهم وسمعوه بأذانهم من أخبار ومشاهدات وغرائب، فكانت بذلك ممتعة ومفيدة لقارئها.

وقد كانت الجزيرة العربية منذ العصور الأولى لظهور الاسلام مقصدا للكثير من الزوار، سواء من أجل أداء فريضتي الحج والعمرة أو من أجل طلب العلم من منابعه الأصلية، أو من أجل اكتشاف تلك البلاد المجهولة بالنسبة للبعض، فسجل الرحالة مشاهداتهم عن البلاد فيما يخص كيفية أداء مناسك الحج والعمرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى تسجيل ملاحظاتهم عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

لقد كان الرحالة العرب السباقين إلى الكتابة عن رحلاتهم إلى المناطق المختلفة شرقا وغربا وخاصة إلى شبه الجزيرة العربية وبالذات المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فوصفوا المسالك والأماكن والأحداث الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه البقاع الطاهرة، فتكونت بذلك حصيلة كبيرة من المعلومات التاريخية، وبالتالي أصبحت كتب الرحلات مصادر مهمة لتاريخ شبه الجزيرة العربية وبخاصة مكة والمدينة؛ لا سيما وأنها بنيت على المشاهدة الفعلية، ومعايشة الناس، والتواصل معهم، والسماع المباشر عنهم.

ومع بداية العصر الحديث كانت الجزيرة العربية قبلة للرحالة والمستكشفين الأجانب وخاصة من أوروبا، بغرض التعرف عليها، من حيث طبيعة البلاد والآثار والسكان والعادات والتقاليد وكيفية أداء العبادات واللباس والطعام والشراب ومظاهر الفرح والحزن وغيرها، كما قاموا بكتابة التقارير، ورسم الخرائط وغير ذلك من الأغراض الاستعمارية غير المعلنة، فتشكلت بذلك ثروة علمية هائلة، تضمنت

إضافات مهمة في جوانب من تاريخ البلاد، على الرغم مما اشتملت عليه كتب الرحلات الغربية من بعض الحقائق والمعلومات المزيفة والخاطئة .

أهمية الموضوع :

تناولت كتابات الرحالة الأوروبيين جوانب مهمة عن الحياة العامة في الجزيرة العربية، فقد تطرقت إلى مواضيع أغفلتها المصادر التاريخية كالظروف المعيشية من مسكن وملبس ومأكل ومشرب وكذا العادات والتقاليد الخاصة بالعبادات وكيفية الاحتفال بالأعياد والمناسبات الاجتماعية، كل هذه الأمور تجعل كتاباتهم تعد مصدرا مهما من مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة، خاصة في فترة الدراسة التي شهدت نقصا واضحا في كتابات الرحالة العرب .

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيارنا لموضوع واقع المجتمع العربي في الجزيرة العربية من خلال رحلات بعض الأوروبيين في القرنين 18م و19م إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أسباب ذاتية: وتعود إلى حب الاطلاع على كل ما له علاقة بالأماكن المقدسة الاسلامية مكة المكرمة والمدينة المنورة مهد رسالة الاسلام ومولد سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، والتي منها انطلق الاسلام إلى كافة أرجاء المعمورة.

أسباب موضوعية: وترجع إلى الرغبة في معرفة الأحوال الاجتماعية لسكان الجزيرة العربية من خلال ما كتبه الغربيون وما شاهدوه بأعينهم وسمعوه بأذانهم، وكيف كانت نظرتهم للمجتمعات العربية وتقييمهم لأساليب معيشتهم، خاصة فيما تعلق بوصف مهد الرسالة المحمدية مكة المكرمة والمدينة

المنورة، وكيفية أداء الحجاج والمعتمرين للشعائر الدينية، بالإضافة إلى معرفة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى الذين يفدون إلى الجزيرة العربية لأهداف مختلفة.

الاشكالية:

من أجل التطرق لموضوع واقع المجتمع العربي في الجزيرة العربية من خلال رحلات بعض الأوروبيين في القرنين 18م و19م وجب علينا طرح الاشكالية التالية:

كيف وصف الرحالة الغربيون في القرنين 18م و 19م الأحوال الاجتماعية لسكان الجزيرة العربية؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

1) من أبرز الرحالة الأوروبيون الذين زاروا الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م ؟
2) كيف تناول هؤلاء الرحالة الحياة الاجتماعية لسكان الجزيرة العربية؟
3) بماذا تميزت كتابات هؤلاء الرحالة؟

المنهج المتبع:

تم الاعتماد لإنجاز هذا البحث على المناهج التالية:

- المنهج الوصفي وذلك من خلال وصف معاينات ومشاهدات كل رحالة .
- المنهج التحليلي الذي يعتمد على تحليل كل ما أورده الرحالة في كتاباتهم من وصف للأوضاع الاجتماعية السائدة في المنطقة محل الدراسة.
- المنهج المقارن، وذلك من خلال اجراء مقارنة بين ما كتبه كل رحالة .

خطة البحث:

ارتكزت الدراسة على خطة تكونت من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

المدخل: والذي احتوى على ثلاثة عناصر الأوضاع العامة في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م، ومفهوم الرحلة ودوافعها، وأهمية الرحلات .

الفصل الأول: الرحلات الأوروبية نحو الجزيرة العربية في القرنين 18م و19م وتم تقسيمه إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول لاثنين من الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية في القرن 18م و المتمثل في رحلة كل من كارستن نيبور وجون تايلر، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه اثنين من رحالة القرن 19م وهما رحلة كل من جون لويس بوركهارت ورتشارد بيرتون.

الفصل الثاني: المجتمع العربي بعيون الرحالة، والذي تم تقسيمه إلى ثلاث مباحث، الأول بعنوان نظام الحكم، والثاني بعنوان تركيبة المجتمع، والثالث المتعلق بالعادات والتقاليد والذي بدوره تم تقسيمه إلى ثلاث مطالب، الأول خاص بالعادات المتبعة في أداء العبادات، والثاني متعلق بالعادات المتبعة في اللباس، أما الثالث فيتحدث عن العادات الخاصة بالأعياد والمناسبات.

الفصل الثالث: كتابات الرحالة الأوروبيين في الميزان وهو مقسم إلى ثلاث مباحث، الأول بعنوان منهج الرحالة في الكتابة، والثاني بعنوان القيمة العلمية لكتاباتهم، أما الثالث فقد تم تخصيصه للنقد التاريخي لما كتبه الرحالة.

الخاتمة وهي عبارة عن حوصلة لما تم تناوله في المدخل والثلاث فصول، وتم فيها ذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

عرض ونقد للمصادر والمراجع:

إن هذا البحث باعتباره دراسة لكتابات الرحالة الأوروبيين عن الجزيرة العربية، فهو يعتمد على كتب هذه الرحلات بالأساس، فكان الاعتماد في انتقاء المادة العلمية من كتب الرحلات هذه، بالإضافة إلى بعض المراجع التي تناولت مضمون هذه الرحلات، وأهم هذه المصادر والمراجع:

- رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها للرحالة كارستن نيبور والذي احتوى على تفاصيل دقيقة لرحلة نيبور، هذه التفاصيل ترهق القارئ وتجعل مهمة انتقاء المادة العلمية الخاصة بالبحث صعبة للغاية.

- رحلات إلى شبه الجزيرة العربية لجون لويس بوركهارت والذي احتوى على معلومات قيمة تخدم الموضوع .

- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز لريتشارد بيرتون، ورغم أننا لم نستطع الحصول إلا على جزئه الأول، إلا أنه أفادنا كثيرا لأن بيرتون ركز في رحلته على وصف الأحوال الاجتماعية لسكان الجزيرة العربية.

- كتاب: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربي لعبد العزير عبد الغني ابراهيم والذي احتوى على نقد وتقييم لكتابات الرحالة الأوروبيين.

- مؤلفات علي عفيفي غازي(بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية، كتابات الرحالة مصدر تاريخي)، والتي ركزت في معظمها على الحياة العامة للمجتمع العربي، كما احتوت أيضا على نقد وتقييم لكتابات الرحالة.

- رسالة الدكتوراه: كتابات الرحالة الأوروبيين مصدرا للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة لحورية عبد الإله السملي، ورغم تركيزها على كتابات الرحالة حول المدينة المنورة ،إلا أنها أمدتنا بمادة علمية قيمة حول موضوع البحث.

صعوبات البحث :

لقد واجهتنا خلال انجازنا لهذا البحث مجموعة من الصعوبات كان أهمها:

- امتازت كتابات الكثير من الرحالة الأوروبيين بالوصف الدقيق لمشاهداتهم وظروف تنقلهم والمصاعب التي واجهتم وغيرها من التفاصيل، وهذا الأمر قد صعب علينا البحث عن ما يخص موضوع الدراسة في ثنايا تلك التفاصيل، مما أرهقنا واستهلك الكثير من الوقت.
- اختلاف أراء الرحالة حول بعض الأمور كالعادات والتقاليد فكل رحالة يصف مجتمع الجزيرة بصفات معينة مختلفة عن الصفات التي وصفها الرحالة الآخرون، مما يجعلنا نظن أن المجتمع العربي يعيش متناقضات .
- ضيق الوقت المخصص للبحث في هذا الموضوع مقارنة بأهميته وحجمه، خاصة وأن لدينا العديد من الالتزامات.

ورغم هذه الصعوبات إلا أننا استطعنا تجاوزها بفضل الله تعالى وعونه، وبجهود الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بنصحه وتوجيهه.

مدخل

أولا: الأوضاع العامة في الجزيرة العربية خلال القرنين 18 -19م

1. **الإطار الجغرافي للمنطقة**
2. **الأوضاع السياسية للمنطقة**
3. **الأوضاع الاقتصادية**
4. **الأوضاع الدينية**

ثانيا: مفهوم الرحلة ودوافعها المتعددة

ثالثا: قيمة الرحلات وأهميتها

أولا: الأوضاع العامة في الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م

1. الإطار الجغرافي للمنطقة :

تقع شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا، وهي تمثل قلب المشرق العربي، وفلكيا تقع بين خطي عرض 12° و32° شمالا، وتمتد بين خطي الطول 36° و 61° شرقا وبهذا تأخذ شكلا مستطيلا، كما تبلغ مساحتها ما يعادل مليون ميل مربع 3237500 كلم ² وبهذه المساحة تصبح أكبر شبه قارة في العالم.[1]

أما أبعادها فيبلغ طولها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن 1400 كلم، ويبلغ طول ساحلها الشرقي من رأس الخليج العربي شمالا إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية 1600 كلم، أما عرضها في أضيق نطاق بين البحر الأحمر فيصل الاتساع الى 1200 كلم [2].

وتقع شبه الجزيرة العربية بين بادية الشام شمالا والمحيط الهندي جنوبا، والخليج العربي وبحر عمان شرقا و البحر الأحمر غربا، وهكذا يبدو أن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط لذلك أطلق عليها الجغرافيون اسم الجزيرة[3].

2. الأوضاع السياسية للمنطقة :

كانت الأحوال السياسية لمنطقة نجد وما جاورها في القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، تتميز بوجود عدة إمارات صغيرة ، تتخذ هذه الإمارات زعيما أو رئيسا من احدى القبائل التابعة لها وله

---

[1] فتحي محمد أبو عيانه : دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية (مصر)، 1994م، ص33

[2] محمود طه أبو العلاء : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ج1 ، (دط)، (د د ن)، القاهرة (مصر)،1956م، ص75.

[3] فتحي محمد أبو عيانه : المرجع السابق ، ص 37.

الكلمة الأولى والمرتبة العليا بين أهل الإمارة، إضافة إلى تأسيس الدولة السعودية الأولى في شبه الجزيرة العربية ، بعد الاتفاق الذي تم بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي ترتب عليه تكوين وحدة سياسية كبيرة، على أرض شبه الجزيرة العربية ضمن العديد من الكيانات السياسية الصغيرة تسمى بالإمارات، لكن العداء كان قائما بينها في الإقليم الواحد، فقد سادت بينها النزاعات والصراعات من أجل البقاء، لكن الدولة السعودية الأولى لعبت دورا هاما كان له أثارا بعيدة في التغير الذي أصاب شبه الجزيرة العربية في مختلف ميادين الحياة، حيث لم توحد كيانات نجد فقط بل امتد نفوذها على معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية [1].

3. الأوضاع الاقتصادية :

تميزت الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية بنوعين من النشاط وهما الزراعة السيحية أو الإروائية في الواحات و كذلك الرعي.

- **الزراعة الإروائية :**

يمتد المناخ الجاف الشبه الاستوائي على القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية، وهذا ما يستدعي الضرورة إلى السقي الاصطناعي في الزراعة، أما القسم الشرقي من الجزيرة فيشهد وفرة المياه الجوفية القريبة من السطح لكن أغلبية المناطق تتم عملية السقي فيها بالآبار زيادة على مياه الأمطار والسيول .

بالرغم من هذه الكميات القليلة إلا أننا نصادف الكثير من المزارع والواحات، كما يعتبر النخيل هو الزراعة الرئيسية في المنطقة خاصة الشمالية منها والوسطى، ولهذا نجد أن التمور هي ذلك

[1] ساطع الحصري : الدولة العثمانية و البلاد العربية ، (د ط)، (د د ن)، القاهرة (مصر)، 1960م ، ص239.

المحصول الزراعي الهام والوحيد لسد حاجات الحضر والبدو، وزيادة على النخيل يزرع التبغ والحبوب كالشعير والقمح، لكن إنتاجها بكميات قليلة وتستخدم محليا فقط عكس التمور التي تعتبر أهم المنتوجات التجارية خارج الجزيرة [1].

- **الرعي البدوي وشبه البدوي :**

ينقسم الرعي في شبه الجزيرة العربية إلى نوعين، فالعرب الحقيقيون هم البدو والرحل الذين يمارسون في حياتهم تربية الإبل بشكل أساسي، حيث كانت الماشية أكثر تربية بينها الأغنام والدواب، حيث اعتمد الأهالي على ما تنتجه هذه المواشي بشكل كبير كالحليب والأجبان والصوف لذلك كانت هناك عملية تبادل للمنتوجات بين البدو والحضر .

- **الحرف والتجارة :**

كانت الحرف اليدوية مهنة الحضر، غايتهم منها لسد حاجياتهم والتي كانت محدودة جدا، حيث كانوا يصنعون الأواني الخزفية والأنسجة الصوفية الخشنة والمصنوعات الجلدية كما أن هناك حدادون و لحامون ونجارون وصناع السلاح، كانت هذه الحرف لها دور هام في حياة المجتمع عن طريق التبادل التجاري المكثف بين مختلف سكان الجزيرة العربية، ولعل أهم مورد لهم هو التجارة خاصة في وقت قدوم الحجيج إلى مكة لأداء مناسك الحج، حيث لم تقتصر التجارة على البر فقط بل وجدت سبل أخرى مثل التجارة عبر البحر في جل موانئ شبه الجزيرة [2].

[1] حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن 20م ، (دط)،(د د ن) ، القاهرة (مصر)، 1967 م ، ص 50.

[2] عبد الإله ناصر السبيعي : اكتشاف النفط و أثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، ط4 ، عمان (الأردن)، 1987 م ، ص 51.

4. الاوضاع الدينية:

انتشرت في منتصف القرن 18 م ونهاية القرن 19 م البدع والخرافات في شبه الجزيرة العربية عامة ونجد خاصة حيث أصبحت وحدانية الله تلبس لباس الخرافات وكثرة الجهلاء الذين خرجوا من مكان إلى مكان يحملون التمائم والتعاويذ.

لم تنفرد نجد بهذه الخرافات، حيث كانت عامة في بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الاسلامية خاصة المناطق التي تعرضت لظروف قاسية مثل انتشار الفقر والجهل ساعدت على بروز الدجالين أصحاب البدع وكادت الصفات التي أكتسبها المجتمع من الإسلام قد اندثرت وحلت محلها الضلالات والخرافات وكأنه لم يظهر بتاتا. [1]

ثانيا : مفهوم الرحلة و دوافعها المتعددة .

أ. تعريف الرحلة :

1. **لغـــة :** جـاء فـي لسـان العـرب، ارتحـل البعيـر رحلـة ، سـار فمضـى ثـم جـرى ذلـك فـي المنطقـة، حيـث قيـل ارتحـل القـوم عـن المكـان ارتحـالا ، ورحـل عـن المكـان أي انتقـل والترحل والارتحال هو الانتقال وهو الرحلة [2]

فالرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل

[1] رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، دار الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ، 1994، ص 96.
[2] ابن منظور : لسان العرب ،ط 3 ، بيروت(لبنان) ، 1993م ، ص289 .

من مكان لآخر ومنه أخذ لفظ رحال وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر[1].

2. **إصطلاحا** : الرحلة هي نوع من أنواع الأدب القديم وهي مصدر تاريخي مهم وثمين، كما أنها مصدر جغرافي عرف في الماضي، ارتبطت الرحلات عامة بالسفر الذي قام به رحالة لاكتشاف أرض جديدة إما معروفة أو لم تكن معروفة سابقا، حيث يتم تجسيد هذه الرحالات في المؤلفات والمدونات والمخطوطات التي يمكن أن تصل من العصور الماضية، حيث تحتوي الرحلة على المشاهدات والقصص التي عاصرها الرحالة في الأماكن التي وصلوا إليها، لتنقل الرحلة المواصفات الطبيعية الموجودة في مناطق العالم، كما تسرد الرحلة العادات والتقاليد السائدة عند الشعوب .

ب. دوافع الرحلة :

تتعدد الدوافع التي تمس الإنسان للقيام برحلات وتختلف من شخص إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى ، ومن قوم إلى أخرين، ومن عهد إلى آخر، لكن يمكن أن تتوحد في أغراضها لذلك نجد :

1. الدوافع الدينية:

كان الناس يرتحلون لزيارة الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان و توبة، و تطهيرا للنفس من دنس الذنوب وعهدا للسير على الصراط المستقيم و أملا في المغفرة، و معظم الرحلات تتجه من المغرب إلى المشرق بسبب وجود الأماكن المقدسة فيه و كثرة العلماء ومركز الخلافة فيه[2].

[1] حافظ محمد بادشاه : الحجاز في أدب الرحلة العربي ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة ، اسلام أباد (باكستان)، 2013م ، ص9

[2] حافظ محمد بادشاه : المرجع السابق ، ص16

2. الدوافع العلمية:

إن طلبة العلم يريدون أن يرحلوا لغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم في مجالات مختلفة كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ونجد في كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا للعلم [1].

3. الدوافع السياسة :

تتمثل في الوفود والسفارات التي تبعث بها الملوك والحكام لدول أخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة المصالح المشتركة أو شؤون الحرب والسلام[2].

4. الدوافع الاقتصادية :

هدفها التبادلات التجارية مثل تبادل السلع أو الأسلحة أو لفتح الأسواق الجديدة لعرض المنتوجات المحلية أو لجلب سلع تتوفر في دول أخرى .

5. دوافع صحية :

وتظهر في السفر من أجل العلاج أو الاستشفاء أو من أجل راحة نفسية من ألوان العناء أو تخليص النفس من الضغوطات والكدر، أو حتى هربا من البلاد أو الأوبئة والأمراض .

6. دوافع أخرى :

هناك أسباب أخرى للرحلات كالسخط على الأحوال وضيق العيش أو الهروب من العقوبات، أو طمعا في تغيير الأحوال المعيشية أو حتى قد تكون رحلات جاسوسية .

---

[1] عبد الله الركيبي تطور النثر الجزائري الحديث ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1912 ، ص86

[2] محمد غنيمي الهلال : الأدب المقارن ، ط5 ، دار العودة ، بيروت (لبنان)، 1987، ص 419.

إذن مهما كان سبب الرحلات فإنها في أغلب الأحيان تعتبر سلوك إنساني يؤتي بثمار نافعة على الفرد والجماعة، فليس الفرد نفسه بعد الرحلة[1].

ثالثا . قيمة الرحلات وأهميتها:

إن كتب الرحلات عامة تشكل مصدرا هاما لأي باحث يهتم بالحضارات والثقافات المختلفة، لذلك تعد هذه الكتب الخاصة بالتاريخ والجغرافيا من المصادر الأساسية للبحث عن التاريخ، وبالتالي أصبحت كتب الرحلات العلمية القائمة على المشاهدة والمعاينة أكثر إفادة .

ويمكن حصر قيمة الرحلات في عدة مجالات وميادين مختلفة تتمثل في مايلي :

1. الأهمية السياسة :

تتحدث معظم الرحلات الأوروبية عن الأوضاع السياسية، كطبيعة الحكم العثماني في البلدان العربية، أو عن الإمارات والمماليك التي كانت قائمة في عدة أقاليم مثل إقليم الخليج العربي، لذلك هناك عدة نماذج استطاعت نقل صورة واضحة عن الأوضاع السياسية، فقد يمكن أن نجد بعض الرحلات التي تذكر طبيعة الأسلحة والجيوش، أو تنقل لنا أحداث حربية وغيره.

2. الأهمية العلمية:

تعتبر الرحلة مصدرا علميا هاما للعلوم الإنسانية، وللتاريخ وحتى علم الآثار والعلوم الأدبية و الجيولوجيا وعلم النبات ، لذلك تعد الرحلات مهمة جدا على كل الأصعدة خاصة المؤرخ، حيث يجد ما يبحث عنه في مضامينها.[2]

---

[1] جاسم الروبعي : تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوربي من خلال الرحلات الأوروبية ، مجلة الفياض ، ع 65 ، 2001م، ص 37.

[2] خميسي سعدي: الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي رحلة الدكتور شو أنموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5 ، ع 1 ، 2001، ص 23.

3. الأهمية الاجتماعية :

اهتمت كتابات الرحالة الأوروبيين كثيرا بنمط العيش ومراسيم الزواج والختان والتطرق للعادات و التقاليد، حتى إلى مراسيم الزواج ومكانة المرأة، كما أشارت الرحلات إلى المنازل والعمران والأبعاد المختلفة للمجتمعات ومظاهر حياتها [1].

[1] محمد غنيمي الهلال : المرجع السابق، ص 456.

الفصل الأول: الرحلات الأوروبية نحو الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م

المبحث الأول: رحلات القرن 18م

المطلب الأول: رحلة كارستن نيبور

المطلب الثاني: رحلة جون تايلر

المبحث الثاني: رحلات القرن 19م

المطلب الأول: رحلة جون لويس بوركهارت

المطلب الثاني: رحلة رتشارد بيرتون

المبحث الأول : رحلات القرن 18 م

خلال القرن 18م زار الجزيرة العربية عدة رحالة غربيين كان من أبرزهم البعثة الدانماركية برئاسة كارستن نيبور، والرحالة جون تايلر الذي كانت وجهته العراق، هؤلاء الرحالة الذين تحدوا الصعاب ومناخ المنطقة الحار، ونقلوا لنا معلومات ضافية عن المنطقة وسكانها.

المطلب الأول: رحلة كارستن نيبور :

شهدت القارة الأوروبية في نهاية القرن السابع عشر حدوث تغيرات جذرية في الحياة أدت إلى تعاظم الدور الأوروبي في العالم أجمع، حيث كان للمنطقة العربية نصيبا كبيرا كونها منطقة صراع دولي، ومنذ ذلك الحين ازداد عدد الرحلات الاستكشافية، وقد مثلت رحلة نيبور أنموذجا لمدونات الرحالة عن منطقة شبه الجزيرة العربية .

أولا: التعريف بالرحالة

ولد كارستن نيبور(Carsten Niebuhr) في أحدى مزارع شمال ألمانيا عام 1733م من عائلة بسيطة لأب فلاح، توفيت أمه واهتمت زوجة أبيه بتربيته، لم يلتحق بالمدرسة مبكرا بسبب الظروف المادية، لكن بعد وفاة والده انقطع عن الدراسة وعاد إلى الفلاحة ثم ما لبث حتى عاد إلى مقاعد الدراسة وواصل دراسته في جامعة كونتكن للرياضيات والفلك، وتوفي الرحالة نيبور سنة 1815م [1].

وفي منتصف القرن 18م اقترح عليه أستاذه رحلة علمية إلى منطقة شبه الجزيرة العربية لغرض علمي وبحثي رفقة عدة طلاب في تخصصات مختلفة، والأمر الغريب أن نيبور هو الشخص الوحيد الذي بقي حيا ضمن هؤلاء الرحالة، بعد أن أصيبوا بمرض أدى إلى وفاتهم[2]، فقد توفي اثنان منهم

[1] . ياسين خيضر حسن المسعودي: وصف المستشرق الألماني كارستين نيبور لمدينة الموصل، مجلة وزارة التربية، بغداد(العراق) ،2001م، ص438 .

[2] الصاعدي أحمد قايد : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، 1999م، ص26.

في اليمن والثالث في البحر أثناء الرحلة إلى الهند ومات الرابع بعد الوصول إلى الهند[1]، وأرجع نيبور سبب وفاتهم إلى الاجهاد الذي كان ناتجا عن تسرعهم المفرط في رؤية البلاد، دون أن تردعهم الحرارة الشديدة عن ذلك، فتعرضوا لتعب شديد أدى إلى وفاتهم[2].

ثانيا: وصف الرحلة

تكون فريق رحلة البحث من فون هافن الدانماركي "Von Haven"(1727م- 1763م)، وبيتروس فورسكال "Petros Forscal "(1732 م -1763 م) الذي درس اللغات الشرقية لدى جوهان ميخائيليس (J . Michaelis)، كما كان في نفس الوقت مختصا في علم النبات والعلوم الطبيعية، وكان هناك أعضاء آخرون مثل الطبيب كريستيان كرامر" Christian Kramer"(1732م-1763م) والرسام باورنفانيد ""(1729م-1763م) وخادم عسكري سويدي برجرن "Berggern"(ت1763م).

وقد منحت الحكومة الدنماركية مخصصات مالية قدرها 2000 عملة دنماركية لشراء المخطوطات بأسعار معقولة، وقد وزعت عليهم أي الأعضاء مهام متساوية وتم إعلامهم بمجموعة من التعليمات يجب التقيد بها من أجل السير الحسن للعملية[3].

كان فون هافن مختصا في اللغات الشرقية، أما فورسكال فهو مكلف بتدوين الملاحظات الخاصة

---

[1] ديفيد جورج هوجارث: اختراق الجزيرة العربية(سجل لمعرفة الغرب بشبه الجزيرة العربية)، تر: صبري محمد حسن،ط2،المركز القومي للترجمة، القاهرة(مصر)، 2009، ص78

[2] جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، تر: قدري قلعجي، دط ، دار الكتاب العربي، بيروت(لبنان)، دس ط ، ص146،148

[3] كارستن نيبور : رحلة الى شبه الجزيرة العربية والى بلاد أخرى مجاورة لها ، تر: عبير المنذر، ج 1 ، ط 1 ، دار الانتشار العربي ، بيروت (لبنان)، 2007 ، ص132.

بعلم الحيوان وباورنفانيد الفنان المكلف بتصوير النماذج التي يجمعها علماء الطبيعة، وأخيرا نيبور المهندس المكلف بتدوين المعلومات الجغرافية [1].

كان الهدف المباشر الذي تحدد لتلك الجماعة هو اليمن، وكان ذلك الهدف أمرا محتوما وضروريا، ففي نظر الغرب كان ذلك الجزء من الجزيرة العربية يمثل الجزيرة كلها، وإذا كانت اليمن هي آخر أراضي الجزيرة العربية التي خسرت المسيحية، فقد كانت هي أول من جدد العلاقات الودية مع المسيحيين الأوروبيين[2].

في29 أكتوبر 1762م رست السفينة التي تقل البعثة في ميناء جدة، حيث تفرق الركاب، الحجاج إلى أداء الفريضة المقدسة والدانماركيون إلى المغامرة التي تنتظرهم في أرض اليمن، أمضوا في جدة ستة أسابيع في انتظار الوقت المناسب لإكمال الرحلة[3]، وفي اللحية[4] التي قضت فيها البعثة قرابة الشهرين درس فورسكال الأوزان والمكاييل ووحدات القياس المختلفة وصروف العملة المستعملة وفروق أسعارها [5].

عاد نيبور إلى مدينة مسقط في جانفي 1765م، ولكنه بدلا من أن يقوم باستكشاف عمان من الداخل، آثر اتباع الأمر الملكي بالاتجاه نحو أعالي الخليج، ثم العودة إلى الوطن بحرا عن طريق بلاد فارس وبلاد الرافدين وسوريا وقبرص ثم آسيا الصغرى، وقد نشرت رحلة نيبور باللغة الألمانية عام

---

[1] جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص146.

[2] ديفيد جورج هوجارث: المرجع السابق، ص78-79.

[3] سمير عطاالله : قافلة الحبر (الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762-1950)، ط1، دار الساقي، بيروت(لبنان)، 1994، ص22.

[4] الأرض الممتدة من مكة شمالا إلى وادي مر الظهران يمر فيه الطريق بين مكة وشمالها(عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ط2، دار مكة للنشر والتوزيع ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م ، ص1468).

[5] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية ،ج1(1500-1840) ، ط1 ، دار الساقي ، بيروت (لبنان)، 2013 ، ص131.

1772م، ثم باللغة الإنجليزية عام 1792م[1]، كما قام تم نشر المجلد الأول الخاص بالرحلة باللغة الهولندية وجاء فيه وصف شامل لشبه الجزيرة العربية، أما المجلد الثاني فقد نشر تحت عنوان " بلاد العرب والبلدان المحيطة بها " وأعيد نشره مرة أخرى عام 1837م.[2]

لقد أمضى نيبور حوالي اثني عشر شهرا في اليمن، وهذا أقل من المدة التي أرادها ملك الدانمارك أن يقضيها في المنطقة وهي عامين أو ثلاثة، إذ لم يخترق نيبور سوى طريق قصير جدا مؤدي إلى قلب الجزيرة العربية الذي لم يتم اكتشافه بعد، هذا الجزء الذي هو عبارة عن مثلث يصل طول قاعدته حوالي مائة ميل، في حين يصل طول ساقي هذا المثلث إلى ما يزيد عن مائة ميل[3].

ثالثا: الهدف من الرحلة

في عام 1946م وفي الدانمارك كان يتوجب على الباحثين أن يقضوا جل وقتهم في جمع المال للقيام بأبحاثهم، ومن بين هؤلاء الأستاذ جوهان ميخائيليس (J . Michaelis)، وهو من بين الأوائل الذين اعتقدوا بأن فهم الكتاب المقدس لا يتم كليا إلا بعد دراسة وتفهم البيئة التي نشأ فيها، لهذا فمن الواجب دراسة القبائل الساكنة في تلك المنطقة والتي لازالت تحتفظ بالعادات والتقاليد القديمة الموروثة عن شعوب وقبائل ذكرت في الكتاب المقدس .[4]

أعد الأستاذ ميخائيليس مجموعة من الأسئلة في مئتين وثلاثين صفحة تحدد مهمة البعثة، وطلب إلى أعضائها التحري عنها واستقصائها، دارت هذه الأسئلة حول عدد من المسائل التوراتية، من تقصي مواقع جغرافية وردت في ذلك الكتاب، والتحري عن حركة المد والجزر في البحر الأحمر، وما

---

[1] ديفيد جورج هوجارث: المرجع السابق، ص88.

[2] كارستن نيبور : المصدر السابق، ج1 ، ص 141.

[3] ديفيد جورج هوجارث: المرجع السابق، ص88.

[4] روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ، ترجمة : عبدالله آدم نصيف ، دس ط ، مكتبة جامعة اليرموك ، الرياض (السعودية)، 1989 م، ص35.

يتعلق بخروج بني اسرائيل من مصر وجملة من الأسئلة عن مسائل اقتصادية تتعلق بالثراء العريض لبعض المناطق التي وردت في أسفار التوراة، إضافة إلى عدد من المشكلات اللغوية والألفاظ العبرية الواردة في العهد القديم [1].

بالإضافة إلى أسئلة تتعلق بعلم الحيوان، عن الأسماك الطائرة والجراد والفئران الصحراوية، مع أسئلة طبية عن الجذام وعن أهمية الختان، كما طلب منهم كتابة تقرير عن حورية الماء وعن العسل البري وعن شكل الخيام[2].

المطلب الثاني: رحلة جون تايلور

أولا: التعريف بالرحالة

جون تايلور هو ضابط عسكري بريطاني الأصل كان عضوا في الجمعية الجغرافية، وقائد في الكتيبة الثالثة بمدفعية بومباي الوطنية بالهند ومساعد الوكيل السياسي في العراق، كما كان مختصا في الشؤون الهندية، مر على منطقة شبه الجزيرة العربية بالضبط العراق وقد نشر أخبار رحلته في مجلدين تحت عنوان رحلات من انكلترا إلى الهند، عاش في الهند حتى وافته المنية في مدينة بونا .[3]

ثانيا: وصف الرحلة:

وصل الرحالة تايلر الى منطقة البردون وهي عبارة عن مكان تجمع للآبار المعدنية لمائها طعم الكبريت، وقد لاحظ تجمع الحيوانات مثل الإبل والطيور على منابعها، وهنا استطاع شراء الإبل من

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم :المرجع السابق، ج1، ص116.

[2] روبن بدول : المرجع السابق ، ص36

[3] جون تايلر : رحلة تايلر الى العراق . سنة 1789الى 1790 ، ترجمة: بطرس حداد، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ، 1982 م ، ص41 .

شيخ مقابل أربعة ألاف قرش وقد اتجهوا في أعماق الصحراء، حتى وصلوا الى منطقة غور الاصلاف ثم لبثوا يومين وبعدها بارحوا المكان متجهين إلى الجنوب والجنوب الشرقي من المنطقة .

بعد ذلك توجه إلى علكة الحوران ونصب فيها خيمته عند مجرى مائي كان قد جف، لكن المنطقة كانت عامرة بالآبار ذات المياه العذبة، وقد ترك هذا الموضع بعد مدة، ثم سار باتجاه الجنوب الشرقي حتى وصل الى غور عميق جدا لا ماء فيه، يبعد عن الطريق المؤدي الى الحلة مسير أربعة أيام، وهي قرية تقع على طريق حلب وبغداد، لكن لم ينزل فيها لما كانت بها من مخاطر وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة، وبعد أيام وصلوا الى البصرة التي كانت مكان عامر لما تتوفر به من تنوع حيواني ونباتي وازدهار للتجارة وغيرها من الأمور التي دونت في مذكرات الرحالة تايلر .[1]

ثالثا: القيمة العلمية للرحلة

أظهرت رحلة تايلر عدة جوانب قيمة لمنطقة شبه الجزيرة العربية عامة والعراق خاصة حيث تناول في هذه الرحلة المظاهر الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة، فقد تطرق للصيد في المدينة وأشار الى المناخ الذي يعتبر عاملا مساعدا في نجاح هذه العملية .

كما تناول الرحالة التجارة وقد ذكر ما يباع من منتجات محلية يدوية الصنع وثل الخزف وغيرها، أيضا أشار إلى الرماية عند العرب وكيف يقضي الرجال هذه الهواية للترويح عن النفس .

كما ركز في مدوناته وكتبه على إعطاء نصائح للرحالة المقبلين على السفر خاصة الى مدينة البصرة؛ حيث ذكر فيما معناه أنه من السهل أن تجد رجالا يقدمون لك المساعدة؛ لأنهم يتكلمون اللغة العربية وقليلا من التركية والإسبانية والبرتغالية، أيضا نصح السياح باختيار أشهر الربيع والصيف من أجل عبور نهري دجلة والفرات حيث تكون هادئة في هذه الفصول .

[1] علي عفيفي غازي : رحالة زاروا الامارات والعراق، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت (لبنان)، 1997 م ، ص231.

إن رحلة تايلر الى العراق من الرحلات التي أفادت الجمعية البريطانية كثيرا حيث كمية المعلومات الوفيرة حول المنطقة لا يمكن عدها وكانت انطلاقة جيدة له يكمل رحلته الى الهند .[1]

المبحث الثاني: رحلات القرن 19 م

شهد القرن 19م توافدا كبيرا لعدد من الرحالة الأوروبيين لأهداف مختلفة، كان أبرزها خدمة المصالح السياسية والاقتصادية للدول الاستعمارية، ومن أبرز هؤلاء الرحالة : بوركهارت وبيرتون اللّذين دخلا الجزيرة العربية بصفتهما مسلمين جاءا من أجل تأدية فريضة الحج، ومن ثم قدّموا معلومات قيمة عن الجزيرة العربية وسكانها.

المطلب الأول: رحلة جون لويس بوركهارت :

أولا: التعريف بالرحالة :

ولد جون لويس بوركهارت (Johan Lewis Burkhardt) بمدينة لوزان السويسرية عام 1784 م، وقد نشأ في أسرة ميسورة الحال، إذ كان والده ضابطا في الجيش لكن عند احتلال بلاده من طرف فرنسا نزح إلى ألمانيا مع أسرته، حيث تعلم هناك وأكمل الجامعة وتخصص في الكيمياء، وبعد تخرجه لم يلتحق بالخدمة العسكرية لأنها تحت راية نابليون، مما دفعه إلى السفر نحو إنجلترا، في نفس الوقت كانت الجمعية الملكية ترسل البعثات لأغراض متنوعة من بينها الاستكشاف الجغرافي والجوسسة السياسية نحو عدة مناطق من العالم . [2]

[1] . تايلر: المصدر السابق ، ص27.

[2] . جون لويس بوركهارت : رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة :هتاف عبد الله ، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت (لبنان) ، 2005 ، ص9 .

وجد بوركهارت غايته في هذه الجمعية، فاتصل بهم وتمكن من عرض خدماته عليهم، فلقى الترحيب من الجمعية لذلك قدمت له كل ما يحتاجه ليقوم برحلة استكشافية إلى تمبكتو وهي مدينة تجارية في مالي، لذلك تعاقد معها مقابل أجر يومي قدره جنيه استرليني واحد .

درس بوركهارت اللغة العربية وأطرافا من علوم الصيدلة والكيمياء والفلك والمواد التي يحتال بها المستكشفون الأوروبيون للاختلاط بالأفارقة والشرقيين [1]، ولم يقتصر في إعداده لنفسه على التحضير الفكري، بل توقع الصعوبات والمصاعب التي قد تقف في وجهه في هذه الرحلة، فقد تمرن على قطع المسافات الطويلة سيرا على الأقدام، كما كان يفترش الأرض ولا يأكل إلا الخضار ولا يشرب إلا الماء.[2]

ثانيا: وصف الرحلة :

غادر بوركهارت بريطانيا في شهر مارس 1809 م متوجها إلى سوريا، واستقر في مدينة حلب، حيث واصل فيها دراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية في حلقات المشايخ مدة عامين، وفي هذه الفترة تجول في بادية الشام، واختلط بالقبائل البدوية، كما تمكن من الوصول إلى مدينة البتراء الأثرية في الأردن، إذ لم يكن الأوروبيون قد وصلوا إلى هذه المنطقة بعد.[3]

وفي شهر فيفري 1812 م سافر إلى مصر، ليرافق قافلة تمبكتو العائدة من الحج، ولكنه لم يستطع إدراكها فأخذ يفتش عن طريق آخر من جنوبي مصر إلى غرب أفريقيا، لكنه لم يستطع تحمل

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق ، ج1، ص187.

[2] . محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م، ص521.

[3] حمد الجاسر : رحالة غربيون في بلادنا ، ط 2 ، دار الوفاء ، الاردن ، 2000م ، ص283.

الطريق الصعب والغريب، لذلك قرر التوجه مع القافلة السودانية إلى بلاد الحجاز لكي يلتقي بقافلة تمبكتو ويعود معها .[1]

وصل بوركهارت إلى الحجاز وبالضبط الى ميناء جدة وقد أنهكه المرض، وربما كان قد أصيب بالملاريا، فقد ازداد حاله سوءا لذلك تلقى علاجا من طرف الحلاقين الذين استعملوا الحجامة والتي ساعدته كثيرا في التخفيف من أثار المرض.[2]

بعد ذلك تقمص شخصية رجل مصري ثري ضاقت به الأحوال وخاصة المادية، وليكون أكثر إقناعا كتب إلى القاهرة لتزويده بالمال، ومع ذلك استغل وجوده في جدة في التنقل بين أحيائها وأزقتها وعلى شواطئها مع تدوين مذكراته وملاحظاته عنها، فقد أشار إلى مساكنها وطرق بنائها وإلى الهندسة المعمارية وأيضا لفت انتباهه مساجدها ومساكن الحكام وأسواقها وأحوالها الأمنية وغيرها من الأمور، كما تطرق الى المهن والحرف الموجودة؛ كما لاحظ أن التجارة تأتي في المقام الأول وأنها أكثر ممارسة وانتشارا .[3]

بعد ذلك تلقى دعوة من محمد علي الذي كان متواجدا في الطائف؛ فسافر الى هناك والتقى به وتبادلا أطراف الحديث، وقضى بوركهارت في الطائف مدة زمنية معينة، وبعدها انتقل الى مكة وقد استطاع الاطلاع على معالمها وسجل في ملاحظاته عن نمط العيش فيها ورسم خريطة لها، كما تطرق الى المسجد الحرام والكعبة وغيرها من الأمور .[4]

---

[1] علي عفيفي غازي : رحالة زاروا الامارات والعراق، المرجع السابق ، ص301 .

[2] جون لويس بوركهارت : المصدر السابق ، ص10 .

[3] عبد الباسط عبد الرزاق بدر : وصف المدينة المنورة عام 1230 هـ لبوركهارت ، مجلة مركز البحوث و دراسات المدينة المنورة ، العدد 3 ، 2003 م ، ص131-132 .

[4] محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص 613 .

ثم غادر بوركهارت مكة إلى المدينة، وقد استغرقت مدة السفر على ظهر الجمل قرابة أسبوعين، وقد كانت رحلته كالعادة بدون أية حادثة تذكر ولكنها كانت مثل باقي رحلاته متعبة وغير مريحة، حيث لم يكن هناك مكان للاستراحة على طول الطريق البالغ 300 ميل، كان خلالها طريح الفراش لمدة ثمانية أسابيع لدرجة أنه أيقن بالموت، وكان قلقا على احتمال ضياع المعلومات التي جمعها أثناء رحلاته وعدم وصولها إلى من أرسلوه[1].

أمضى بوركهارت ثلاثة أشهر في مكة، حيث قام برسم خريطة لها وقام بجمع معلومات من مجموعة متنوعة من المخبرين، كما أنه وصف بشكل شامل مناسك الحج والحرم المكي، وتاريخ مكة والأماكن المقدسة المحيطة، فضلا عن عادات وملابس مختلف طبقات المجتمع المكي[2].

ثالثا: الهدف من الرحلة :

كان اهتمام لندن في بداية القرن 18م مع ما يجري في مصر وعلى أطرافها كبيرا، فمع تطور حركة المتغيرات التي أحدثتها مغامرات محمد علي في مصر وجوارها العربي والإفريقي[3]، الذي أرسل حملة بقيادة ابنه طوسون باشا بلغت نحو عشرة آلاف جندي حيث تمكن من احتلال ميناء ينبع[4] وكان ذلك عام 1811م[5]، حيث أخذت الرحلة الأوروبية التي كانت تهتم بتطور الأحداث في الساحة

[1] روبن بدول : المرجع السابق ، ص52.

[2] William Facey : Pilgrim Pioneers (Britons on Hajj before 1940)، article from a book : Venetia Porter and Liana Saif (Collected essays , British Museum ,London ,2013,P 125.

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق، ج1 ، ص187.

[4] واد فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة (عاتق بن غيث البلادي: المرجع السابق ، ص1867).

[5] سهير نبيل كمال: سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها (1816-1840م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل(العراق) ، 2003 ، ص30.

الوهابية[1] تكتسب أبعادا جديدة أكثر ارتباطا بمخططات محمد علي الذي انبرى لقتال الوهابيين بعد أن قضى على المماليك[2]، ولما كانت الجمعية الملكية البريطانية تسعى لمعرفة ما يدور في مصر وما جاورها، فقد وظفت في مارس 1809م بوركهارت ليقوم بتلك المهمة[3].

سافر بوركهارت إلى الجزيرة العربية لحساب الجمعية الملكية البريطانية، وهي الجمعية التي تسعى إلى اكتشاف قلب افريقيا، وكانت تمولها ادارة المستعمرات البريطانية لغرض التعرف إلى المناطق قبل محاولة احتلالها، غير أن بوركهارت لم يصل إلى افريقيا الغربية، بل بقي في الشرق العربي يتنقل في أرجائه بصفته مسلما، حيث قدم خدمات للتاج البريطاني بكتاباته التي تميزت بالدقة، فعندما وفد البريطانيون غازين وجد بين أيدي مخابراتهم مذكرات بوركهارت وأوراقه عن المنطقة وسكانها[4] .

لقد انتحل بوركهارت شخصية طبيب مسلم وتسمى باسم ابراهيم بن عبد الله، وبما أنه لجأ إلى التخفي، فهذا يساعدنا على فهم دوافع رحلته تلك، فإن التخفي يكون لمن يخفي أغراضا سياسية خلف رحلته من تجسس أو نحوه [5] .

---

[1] حركة قامت من أجل الاصلاح الديني في الوطن العربي خلال العصر الحديث، شملت نجد وما حولها في القرن 18م، بزعامة محمد بن عبد الوهاب (عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، دس ط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(لبنان) ، ج7 ، دت، ص357).

[2] يعتبر المماليك امتدادا للأيوبيين حكموا مصر والشام، ولما دب الضعف فيهم، تغلب عليهم العثمانيون(عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ج2، ص725).

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق، ج1 ، ص187-188.

[4] أغسطس رالي: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة: حسن سعيد غزالة، دط، دارة الملك عبد العزيز، (دب)، (د س ط) ، ص29.

[5] حورية عبد الإله السملي : كتابات الرحالة الأوروبيين مصدرا للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية ، 2013 ، ص67.

يقول الكولونيل ليك(Leake) : "لقد قدم بوركهارت إلى الجمعية أدق وأشمل تقرير وصل إلى أوروبا عن الحجاز بما في ذلك مكة والمدينة، فإن معرفته باللغة العربية وبعادات المسلمين قد مكنته من انتحال صفة المسلم وشخصيته بنجاح لا مثيل له، بحيث أقام في مكة في موسم الحج كله، وأدى الشعائر الواجبة في هذه المناسبة، دون أن يثير أي شكوك مهما كانت بسيطة حول شخصيته الحقيقية "[1].

فالكولونيل لم يفصح عن كون هذه الشخصية مستشرقا أم جاسوسا في كلامه، بل يحتمل أنه يتكلم عنه باعتبار رؤية شخصية، لأنه من الممكن أن بوركهارت قد كتب كتابه لا على وجه التجسس بل من باب حبه التاريخي الذي دفعه للاستكشاف أول أمره، فإن التحاقه بالجمعية للسفر إلى تمبكتو رغم أنها كانت محفوفة بمخاطر الموت بما حدث للبعثة السابقة له، فإن هذا يشير إلى حبه للمغامرة، ولو كان الأمر قد يودي بحياته [2] .

سعى بوركهارت للعثور على مكان أتى نيبور على ذكره، لكنه لم يحصل على أية معلومة تفيده، فسعى بنفسه حتى وصل إلى ظفار التي بدا له أنها المكان الذي أساء نيبور فهم اسمه، وكانت عاصمة الملوك الحميريين القديمة، لكنه لم يجد بها أية بقايا أثرية، لكنه عثر على قليل من الكتابات الأثرية، استعملت في بناء بعض الجدران، واشترى الثالثة من مكان آخر، وقام بنسخ تلك الكتابات من غير أن يلاحظه أحد، ووسما متقنا للحجرة التي كان قد اشتراها، وقام بإرسالها إلى أوروبا، فبفضل هذه الرسالة عرفت أوروبا للمرة الأولى الكتابة الأثرية الحميرية [3].

[1] بوركهارت : المصدر السابق ، ص8 .

[2] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص69.

[3] جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص214.

المطلب الثاني: رحلة بيرتون:

أولا: التعريف بالرحالة :

ولد رتشارد فرانسيس بيرتون (Richard Francis Burton) بإنجلترا سنة 1821م من أصل مختلط (فرنسي، انجليزي وايرلندي)، كان أبوه ضابطا في الجيش لكن سرعان ما ترك المهنة، وبدأ في الترحال والسفر إلى الدول المجاورة مثل فرنسا رفقة عائلته لذلك ولد وترعرع بيرتون عاشقا للترحال، تعلم اللغة العربية في جامعة أوكسفورد، وفي سنة 1842 التحق بالجيش البريطاني في الهند مما مكنه من تعلم المزيد من اللغات[1].

بعد عودته عرض على الجمعية الجغرافية البريطانية خدماته لغرض إجراء اكتشافات في بلاد شبه الجزيرة العربية[2]، ليستكشف دروبها ويقطعها من مسقط إلى الحجاز ولا يستثني الربع الخالي، وأقرت تلك الجمعية طلبه الذي يبدوا أنه خطر بباله في فترة عمله في الهند، حيث عرف من خلال حجاج تلك المنطقة أنهم يفدون إلى مسقط بحرا ثم يواصلون طريقهم برا إلى الحجاز[3] فقام في عام 1855م برحلة إلى وسط إفريقيا في محاولة منه للتعرف على منابع النيل، فكان أول أوروبي يصل إلى مدينة هرر في إثيوبيا، كما عمل قنصلا لبريطانيا في فرناندو برو الإسبانية على الساحل الغربي لإفريقيا وغيرها من المناصب قبل بعثته الى شبه الجزيرة العربية .[4]

---

[1] رتشارد بيرتون : رحلة بيرتون الى مصر والحجاز ، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 م ، ص 12 .

[2] بيرتون : المصدر السابق ،ج1، ص12.

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق، ج2 (1850-1880)، ص21.

[4] بيرتون : المصدر السابق ،ج1، ص12.

يعتبر بيرتون أنموذجا لفئة قليلة من موظفي حكومة شركة الهند الشرقية من الذين زاروا مواقع في شبه الـ جزيرة العربية من دون تكليف رسمي، فالرجل مغامر بطبعه، درس العديد من اللغات، حيث يقول في وثيقة رسمية قدمها إلى حكومته أنه يعرف تسعا وعشرين لغة منها اللغة العربية، وأراد أن يستزيد من معرفته بقواعد هذه اللغة وآدابها، ووجد أنه يمكن أن يحقق غرضه في شبه الجزيرة العربية، وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة [1]، ويعتبر عالم أنتروبولوجيا[2] موهوب، إذ قام بزيارة جميع الأماكن ذات الأهمية حول مكة المكرمة، وقام بتدوين ملاحظات كثيرة عن عادات وملابس الحجازيين[3] .

ثانيا: وصف الرحلة :

كان اهتمام الناس بالاكتشافات الجغرافية في منتصف القرن 19م كاهتمامهم اليوم باكتشاف الفضاء، وكان بالإمكان لأي شخص أن يحصل على مساعدات مالية ومعنوية إذا جاء بخطة معقولة للقيام برحلة، وفي خريف 1852 عرض بيرتون خدماته على الجمعية الجغرافية في لندن، لغرض اجراء بعض الاكتشافات في المنطقتين الوسطى والشرقية للجزيرة العربية[4].

غادر لندن متنكرا في زي فارسي واستقبله في الاسكندرية جون ثيربيرن(John Thurburn)، الذي استضاف بوركهارت قبله، وفي أثناء الشهر الذي قضاه في الاسكندرية تلقى العلم على يد أحد المشايخ في الصلاة والدعاء والركوع والسجود والركعات وقراءة القرآن وغير ذلك، وما لبث أن تخلى

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق، ج2 ، ص21 .

[2] كلمة مشتقة من اليونانية وتعني علم الإنسان ، أي أنها تدرس نشأة الإنسان وتطوره وتميزه عن المجموعات الحيوانية(عبد الوهاب الكيالي : المرجع السابق ،ج1 ، ص345).

[3] William Facey : opc.cit ,P125.

[4] روبن بدول : المرجع السابق ، ص56.

عن شخصية الفارسي حينما علم أنه ينظر إلى الفرس على أنهم هراطقة[1]، وفي الجزيرة العربية يجلدون ويدفعون الرسوم ثلاثة أضعافها، فتنكر في زي أفغاني[2].

حاول بيرتون أن يتصرف مثل المسلمين في طريقة عيشهم وأكلهم وشربهم أثناء رحلته الأولى، وبعد مدة من السفر وصل إلى الإسكندرية وغير اسمه إلى الشيخ عبد الله، ومن الإسكندرية أخذ بيرتون مركبا تجاريا عبر به نهر النيل إلى القاهرة واستقر في فندق شعبي، وباشر في مهنة جديدة وهي الطب، ثم قرر التوجه إلى قرية ينبع وبقي قرابة الأسبوع فيها وقد أعجب بجمالها وهذا ما ذكره في سجلاته، بعد هذا الأسبوع اتجه رفقة قافلته نحو المدينة المنورة .[3]

كانت خطته الأساسية تقضي بالإبحار إلى مسقط ومنها عبور الربع الخالي حتى الوصول إلى مكة المكرمة والمدينة، وقررت الجمعية الملكية تمويل الرحلة لكن شركة شرق الهند رفضت السماح له القيام بها بحجة أنها بالغة الخطورة[4]، لذلك قرر بيرتون أن يقصر رحلته على مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهناك يمكنه أن يستزيد من دراسة اللغة العربية وآدابها، كما يمكن أن يقابل العديد من المسلمين وخاصة العرب منهم الذين يأتون من كل فج عميق من الذين جابوا الصحراء وخبروا مسالكها[5].

أعجب بيرتون كثيرا بالمدينة المنورة وجمال شوارعها ومنازلها ومساجدها، ثم غير وجهته الى مكة المكرمة التي أدى فيها مناسك الحج وقد وصف هذه الزيارة بالحلم الذي تحقق، بعد مكة انطلق

---

[1] بدعة في الدين عند المسيحيين(أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ،القاهرة (مصر) ،مج4 ، ط1، 2008، ص2343).

[2] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص199.

[3] محمود السمرة : غربيون في بلادنا ، ط1 ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (لبنان)، 1999 م ، ص 44.

[4] سمير عطاالله : المرجع السابق ، ص82-83.

[5] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق، ج2 ، ص22.

الى جدة التي كان لها نصيب من الوصف والذكر حيث استطاع نقل صورة في غاية الجمال عليها، وقد أنهى هذه الرحلة لمنطقة الحجاز من هذه المدينة، واتجه بعدها إلى السويس، وقد تعرض الرحالة للكثير من المخاطر إلا أنه نجى منها بأعجوبة خاصة أثناء إبحاره في السفن على أسطح البحار والخلجان.[1]

ثالثا: الهدف من الرحلة :

لقد أظهرت بريطانيا اهتماما كبيرا بالخليج العربي وخاصة مع بداية القرن 19م ، فبدأت بالتواجد وبصورة مكثفة عن طريق المقيميات التي أنشأتها في البصرة والكويت وكانت لها تجارة رابحة في المنطقة، فهي تعتبر الطريق المباشر للهند أهم مستعمراتها، فكانت بذلك الوحيدة التي تسيطر على مياه الخليج العربي[2].

وبالتالي قامت القوات البريطانية في الهند بترشيح بيرتون للعمل لصالحها وذلك بسبب قدرته الكبيرة على التنكر، وتعلم اللغات واللهجات، كل ذلك من أجل الحصول على المعلومات الكافية

لخدمة الاستعمار البريطاني[3]، حيث كان دافعه إمبرياليا[4]، وكان مضطرا إلى أن يربط هويته بالإمبراطورية البريطانية، وظهر ذلك في غضون جولاته حيث اصطبغ بالطابع الانجليزي، وفي مواضع عدة ذكر أن هذه الأرض غير المتحضرة تصرخ طلبا للنجدة [5].

---

[1] بيرتون : المصدر السابق ، ص16.

[2] سهير نبيل كمال: المرجع السابق، ص83.

[3] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص85.

[4] الامبريالية عبارة عن نزعة تسلطية من بعض الدول للاستحواذ على بعض الأقاليم، وذلك بالسيطرة الاقتصادية والسياسية (أحمد مختار عمر: مج1 ، المرجع السابق، ص116) .

[5] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، ط1 ، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع ، دبي (الامارات)، 2020 م، ص67 .

إن من أهم المهن التي أتقنها بيرتون هي الجوسسة، وهذا بسبب تكلمه لعدة لغات ولهجات، كل هذا من أجل الحصول على معلومات خدمة للاستعمار البريطاني، ولعل عدم إفصاحه عن رحلته حتى لأقرب الناس هو دليل قاطع أنها كانت ذات طابع جاسوسي.

قصد بيرتون في الأصل استخدام مكة المكرمة كنقطة انطلاق لعبور الصحراء العربية، واستكشاف المنطقة الشرقية التي لم تكن معروفة بعد، وإلقاء نظرة سريعة على ذلك الفراغ الكبير على الخريطة (الربع الخالي)، وتسوية المسألة الشائكة المتعلقة بهيدرولوجيا[1] الحجاز[2]، فالحجاز هي أكثر المناطق خطورة وصعوبة، من جهة أخرى كانت هناك أسباب ثانوية من بينها رغبته في اكتشاف إمكانية فتح سوق للخيول بين شبه الجزيرة العربية والهند، كذلك جمع معلومات عن الربع الخالي ليدرجها في خرائطه .[3]

لقد تسلل بيرتون بين صفوف الحجاج الأفغان للتجسس عليهم، والاطلاع على حقيقة مشاعرهم نحو الجيش البريطاني الذي كان يحتل الهند وما حولها، حيث اقترب منه رجل هندي في مكة بعد أن ظن أنه أفغاني وأسر إليه خبر الإعداد لانتفاضة شعبية ضد الانجليز في الأقاليم الهندية، فما كان من بيرتون إلا أن أسرع وأرسل برقية إلى القيادة البريطانية ينبهها إلى ما يعده الوطنيون الهنود ضدها[4].

وقد كانت خطة بيرتون الأولى لها فوائد عديدة، فبالإضافة إلى اكتشافه مناطق في الجزيرة العربية لم تكن معروفة للأوروبيين من قبل، فإنه كان يأمل مثل بوركهارت أن يحصل على لقب حاج الذي

[1] علم يهتم بدراسة المياه من ناحية خصائصها وتوزيعها وتأثير المياه على المناخ الأرضي وسطح الأرض(أحمد مختار عمر: المرجع السابق، مج4 ، ص2383.

[2] William Facey : opc.cit ,P 125.

[3] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص302 .

[4] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص31.

سوف يسهل له الحركة في البلاد الاسلامية، وكذلك فإنه خلال وجوده في الجزيرة العربية سيحاول الحصول على الخيول العربية للجيش البريطاني في الهند [1].

لقد كان بيرتون يحلم دائما بأن يمتد الحكم البريطاني إلى الجزيرة العربية، ولذلك قدم اقتراحات كثيرة حول تحفيز البدو لخدمة الإمبراطورية حيث يمكن أن يكونوا فرقة ممتازة من المشاة، وبالتالي يمكن اعتبار بيرتون إمبرياليا بمعنى الكلمة لأنه يسعى إلى خدمة إمبراطورتيه ورفع شأنها وزيادة مستعمراتها[2].

لقد كان لأغلب الرحالة الأوروبيين السابق ذكرهم أسباب ودوافع مختلفة للرحلة إلى الجزيرة العربية، ورغم أنهم كانوا من جنسيات مختلفة، إلا أنهم كان يجمعهم هدف واحد هو خدمة المصالح السياسية والاقتصادية لبلدانهم، حيث كانت تغلب عليهم النزعة الاستعمارية من أجل السيطرة على مناطق في الشرق الذي كانوا يجهلون الكثير عنه.

[1] روبن بدول : المرجع السابق ، ص56.

[2] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص31

الفصل الثاني: المجتمع العربي بعيون الرحالة

المبحث الأول: نظام الحكم

المطلب الأول: الشريف وسلطته في مكة والمدينة

المطلب الثاني: دور القبيلة في المجتمع العربي

المطلب الثالث: المؤسسات الادارية

المبحث الثاني: تركيبة المجتمع

المطلب الأول: تركيبة مجتمع البدو والحضر

المطلب الثاني: تركيبة مجتمع المدينة المنورة

المطلب الثالث: تركيبة مجتمع مكة المكرمة

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

المطلب الأول: عادات المجتمع في أداء الشعائر الدينية

المطلب الثاني: لباس السكان

المطلب الثالث: عادات المجتمع في الأعياد والمناسبات

المبحث الأول : نظام الحكم

توافد على الشرق عدد كبير من الرحالة والمستشرقين، حيث قدموا لنا الكثير من المعلومات التي حصلوا عليها من تجوالهم عن شؤون وأوضاع المجتمعات العربية المجهولة لديهم، وقد سجل هؤلاء الرحالة الكثير من التفاصيل المهمة، كما كانوا شهود عيان على الكثير من التفاصيل الدقيقة التي تعبر عن الحياة اليومية لسكان الجزيرة العربية خاصة وتركيباتهم السياسية والاجتماعية والقبلية، مما جعل كتاباتهم مصدرا أساسيا لمعرفة تاريخ المنطقة[1].

المطلب الأول: الشريف وسلطته في مكة والمدينة

لقد أفاض الرحالة –موضوع البحث– في الحديث عن النواحي السياسية في الجزيرة العربية التي كانت خلال فترة البحث تابعة لشريف مكة لذا كان من المناسب التعرف على نظام الحكم فيها، فالتجمع الهائل من الحجاج في الأراضي المقدسة كان دوما بمثابة الملتقى السياسي السنوي للعالم الإسلامي، ولأجل هذا فإننا نجد أن الحكومات المتعاقبة تعمل على تهيئة المناخ الملائم لأداء المناسك والزيارة في يسر وسهولة، ليكونوا سفراء عند رجوعهم لبلادهم يخبرون عن ذلك، فتتقوّى الحكومات التي حكمت المنطقة[2].

كانت مناطق كل من مكة والطائف وينبع خاضعة لحكم شريف مكة، الذي وسع نفوذه على جدة كذلك، رغم أن هذه المدينة كانت منفصلة عن المناطق الخاضعة لسيطرته، وكان يحكمها باشا أرسل من الباب العالي ليصبح السيد المطلق على المدينة وليقتسم دخلها مع الشريف[3]، والأشراف هم

---

[1] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، تقديم : محجوب الزويري، ط1، الرافدين ، بيروت (لبنان) ، 2016، ص53.

[2] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ،ص225.

[3] بوركهارت : المصدر السابق ، ص185.

من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعرفون في الحجاز بالأمراء أو السادة أو الشرفاء ويجدون التقدير و التبجيل وأنهم قد تفرعوا عدة فروع، منهم أسرة علي أبانمي الذين قدر عددهم بثلاثمئة شريف وهم يتمتعون بولاية عرش مكة، والسلطان العثماني لا يهتم بالمنازعات التي تثور بين أفراد هذه العائلة للظفر بالحكم، بل يؤججها أحيانا حتى يضعف من شأنهم، فالموظفون الأتراك يثيرون المؤامرات مما يجعل الشريف الحاكم في موقف ضعيف، وعادة ما يفقد كرسي الحكم بثورات أهله الأقربين[1] .

لم تكن الخلافة في حكومة مكة وراثية، بل كخلافة شيخ البدو رغم أنها بقيت في القبيلة نفسها طالما أن سلطة هذه القبيلة ظلت متوفقة وراجحة، فبعد موت شريف ما يخلفه قريبه الذي يملك الحزب الأقوى أو الرأي العام وأصواته في صفه، ولم تكن تقام احتفالات تنصيب أو يمين للولاء.[2]

بالإضافة إلى وجود أنواع من الحكومات الفيدرالية[3] في شبه الجزيرة العربية، وأن الذين يفلحون أراضي الأمراء ليسوا بالضرورة رعايا لهم فهم مستقلون وما يؤدونه لا يزيد على كونه رسوما نظير حق استخدام الأرض التي يعتبرون بنحو أو بآخر فلاحون عاملون عليها [4].

ويتقاسم باشا المدينة وشريف مكة مردود جمارك جدة، لهذا يبقى كخيا[5] الباشا ومندوب الشريف الذي يحمل لقب وزير يوميا في الجمارك عند وصول السفن وقبيل رحيلها، ولا يبدوا أن كخيا جدة خاضع للباشا فقط، كما هو الحال في المقاطعات التركية الأخرى إذ يبقى في منصبه لسنوات عدة في

---

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ،ج1 ،ص122-123.

[2] بوركهارت : المصدر السابق ، ص186.

[3] نظام سياسي يعترف بوجود حكومة مركزية للدولة إلى جانب حكومات اقليمية أخرى ذات استقلال سياسي (أحمد مختار عمر: المرجع السابق، مج3 ، ص1758) .

[4] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1 ، ص160.

[5] يطلق على الشخصيات المرموقة ، ويطلقونه على الوكيل المعتمد(محمود عامر : المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 117و 118 ، ماي ، 2012 ،ص377).

حين يتم تغيير الباشا تقريبا سنويا، ويخضع رعايا الشريف المقيمين في جدة لسلطة الوزير الذي ينبغي أن يكون من احدى العائلات التي يحق لها المطالبة بمهام السيادة في مكة أو بلقب الشريف، وإن استدعى الشريف أي المولود في احدى عائلات الحجاز النبيلة للمثول أمام القضاء، يرفض المثول أمام قاضي أدنى منه من حيث المستوى الاجتماعي[1].

أما المدينة فقد كانت قبل دخول الوهابيين امارة منفصلة، ثم أصبحت تحكم من قبل الخلفاء مباشرة وكانوا مستقلين عن ولاة مكة، وعندما ضعفت سلطة الخلفاء عُين على المدينة ولاة مستقلين، غير أن زعماء مكة كانوا يمدون سلطانهم إلى المدينة في بعض الأزمنة [2].

وقد كان آغا الحرم هو وحاشيته الصغيرة من الجنود بمثابة الرئيس الأعلى للمدينة المنورة، فالحاكم العسكري لا يتم اختياره بواسطة السلاطين بل يتم اختياره من قبل أهله، ويجري اختيار الآغا عن طريق الضباط في حامية المدينة المنورة، وأصبح من حق أفراد جماعة الآغا المشاركة في الرواتب السنوية التي كانت تحدد من قبل السلطان لدفع رواتب الحامية، التي كانت تصل من اسطنبول بصورة منتظمة، كما اغتصبت تلك الجماعة لنفسها أيضا نصيبا من الصرة[3] أو إن شئت فقل الحوافز المالية التي كانت ترسل للمسجد النبوي من ناحية والمدينة ككل من الناحية الأخرى [4].

[1] كارستن نيبور : المصدر السابق ،ج1 ، ص237.

[2] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق، ص230.

[3] أموال ترسل من الدولة العثمانية لأشراف الحجاز(محمود عامر : المرجع السابق ،ص375) .

[4] بوركهارت :المصدر السابق ، ص178-179

المطلب الثاني: دور القبيلة في المجتمع العربي

يعرف علماء الاجتماع المجتمع العشائري البدوي بأنه مجموعة مجتمعات العشائر أو القبائل، كل منها يشكل مجتمعا قائما بذاته مستقلا في ادارة شؤونه ومعيشته وحكمه، بيد أن هناك جامعا مشتركا واحدا بينها هو نمط تنظيمها الداخلي الذي يتكرر عند كل القبائل مما يجعلها وحدات منفصلة ماديا فيما بينها، لكنها منسجمة التكوين الداخلي متشابهة الأوضاع، ويوجد في مجتمعات البدو مختلف الروابط اللغوية والثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعشائرية القبلية والعائلية، وتختلف قيمة وأهمية هذه الروابط عند البدو إلا أن بعضها يمثل أساس البنية الاجتماعية[1].

ويمكن اعتبار شيوخ القبائل الكبيرة ضربا من الأمراء، فلكل عشيرة ولكل فخذ شيخ، وفي حالة اتساع العشائر واتحادها في قبيلة واحدة سواء أكان ذلك انضماما ماديا أو معنويا هنالك شيخ المشايخ، وذلك لمراجعة السلطات في شؤونهم الخارجية، أو ليكون رابطة تربطهم في أوقات الأزمات، فيستطيع دعوتهم جميعا ليتكتلوا في كتلة واحدة تقوى بها مصالحهم[2].

ويجب أن يكون شيخ العشيرة كريما، والكرم خصلة يعترف بها حتى العدو، فالشيخ يتمتع بشعبية بين أتباعه إذا كان حسب التعبير الشعبي (يده مفتوحة)، يأخذ من هنا وهناك ليقدمه باليد الأخرى لمن يحتاج، ويتوقع الجائعين من أفراد عشيرته منه أن يذبح لهم في الأعراس والأعياد والمناسبات الدينية [3].

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ،ص104.
[2] علي عفيفي غازي : بدو العراق و الجزيرة العربية بعيون الرحالة ، المرجع السابق، ص54.
[3] المرجع نفسه ، ص55.

من المفترض أن تكون القبائل البدوية كلها في الحجاز خاضعة لسلطان الشريف القضائي، وتدرج أسماؤها على الأقل في سجلاته الخاصة وفي سجلات الباب العالي كرعايا السلطان والشريف المطيعين، وحين كان غالبا[1] في أقصى سلطته وأوجها كان يتمتع بنفوذ ذي شأن على تلك القبائل، لكن لم تكن له سلطة مباشرة عليها، فكانت تلك القبائل تنظر إلى الشريف وجنده وأصدقائه بالنظرة نفسها التي كانوا يرون فيها أحد شيوخهم ومواليه، وكانت قوانين الحرب كلها الشائعة في الصحراء تراعى بدقة من قبل الشريف، وفي حملاته الأخيرة ضد الوهابيين، كان يرافقه ستة أو ثمانية آلاف بدوي انضموا إليه دون أن يتقاضوا أي أجر لقاء خدماتهم، لكنهم يتبعون زعماءهم الذين يكسب غالب اهتمامهم ومودتهم من خلال الهدايا التي يقدمها لهم [2].

كما أن شيوخ القبائل الصغيرة عادة ما يتحالفون مع شيوخ القبائل الأكبر، ويمكن للشيخ الذي تجتمع تحت حلفه مجموعة من القبائل أن يطلق اسمه على هذا التجمع فيصبح علما عليه، ولا يشترط أن يكون الابن البكر وريثا للشيخ فهو يختار من أبنائه أشدهم حزما، ويعد الشيخ حاكما مطلقا للقبيلة ولكنه لا يعامل الشيوخ من أتباعه كرعايا بل معاملة الشيوخ، والقبائل التي تعيش حول مكة ترسل خوّة في كل سنة وهي عدد من الإبل والغنم إلى شريف مكة، وأن أشراف الحجاز يتدخلون أحيانا لتسوية الخلافات التي تنشأ في أسر الشيوخ [3].

[1] من الأشراف، تولى منصب الشريف عام 1786م ، تميز حكمه بالظلم والقمع لمعارضيه، انتهى حكمه على يد محمد علي (بوركهارت : المصدر السابق، ص189).

[2] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص240.

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ،ج1 ، ص129.

المطلب الثالث: المؤسسات الإدارية

المقصود بالمؤسسات الإدارية التنظيمات التي كانت بالجزيرة العربية فترة البحث وهذه التنظيمات تختلف من عصر لآخر، إلا أنها في الجملة تدور حول ما يضبط الأمن والنظام وتأمين الحجاج وتوزيع الأعطيات والأموال وهي نوع من الرقابة العامة [1].

إلا أن نظام الحكم غير المعقد في الحجاز في فترة البحث أنتج تنظيما إداريا متواضعا فكانت القيادة للحاكم ويعاونه القاضي والمحتسب والجنود، وهذا التنظيم المتواضع كان كفيلا بضبط الكثير من الأمور مما أدهش الرحالة، لكنه غاب عنهم أنه رغم تواضعه إلا أنه يوجد وراءه عقيدة وجوب السمع والطاعة للأمراء [2].

وقد ذكر بوركهارت أن آغا الحرم والقاضي اللذان يتم ارسالهما من القسطنطينية سنويا مجرد صفرين لا شأن لهما وكان الأول يحصل على التعيين في هذا المركز بدافع النفي لا الترقية، ولم يكن الدخل الذي يتلقاه من القسطنطينية يمكنه من وضع أي حرس عسكري يكفي ليضعه في مستوى خصمه آغا المدينة، على الرغم من أن دخله كان يعتبر جيدا [3].

ويترأس التنظيم الاداري للمدينة المنورة حاكم عسكري وهو مسؤول عن النواحي العسكرية، ووالٍ أطلق عليه شيخ الحرم يمسك مقاليد السلطة المدنية، وأن هذا التنظيم لم يتغير في الجملة بتبعية المدينة للباب العالي أو مكة أو الوهابيين، فالسلطات العثمانية أرسلت إلى المدينة حامية عسكرية بقيادة آغا أصبح بمثابة قائد عسكري للمدينة، وأما عن حكومة المدينة فكانت في أيدي شيخ الحرم وهو على اتصال مباشر مع العاصمة، وهو أيضا رئيس المسجد والشخص الرئيسي في المدينة،

[1] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص240.
[2] المرجع نفسه ، ص240.
[3] بوركهارت :المصدر السابق ، ص326.

ولشيخ الحرم مجلس مكون بطريقة شبيهة بمجلس الباشا، كما أنه المسؤول عن الآغوات والذي يتراوح عددهم ما بين أربعين إلى خمسين آغا توكل لهم مهمة حراسة المسجد وغسل الحجرة الشريفة وتنظيف سائر المسجد واضاءة المصابيح به، والآغوات يمارسون نفوذا كبيرا في تسيير الأمور الداخلية للمدينة ويتقاضون مرتبات ضخمة ترسل لهم بانتظام سنويا من استانبول مع قافلة الحج الشامي[1] .

وقبل الغزو الوهابي كان شريف مكة يحتفظ في المدينة المنورة بموظف ذي منزلة أدنى ليقبض بعض الرسوم الزهيدة على الخضراوات واللحوم والمؤن الأخرى التي تأتي إلى السوق، وهي الضريبة الوحيدة من نوعها التي يدفعها المدنيون، وهي آخر أثر للسلطة التي كان يتمتع بها شريف مكة على المدينة[2].

أما تنظيم الأسواق ومراقبتها فقد عهد بها إلى المحتسب، لكن في فترة البحث لم يكن متمتعا بالصلاحيات المناسبة، وبشكل عام فقد كانت مراقبة الأسعار في سوق الطعام ضعيفة، لأن المحتسب بالمدينة لا يتمتع بأية صلاحيات كما في مكة وجدة، وإن السلع والمؤن قد تباع بأسعار مختلفة في نفس المدينة، مما يؤدي إلى حدوث أضرار مالية لزائري المدينة[3].

[1] حورية عبد الإله السملي ، المرجع السابق ، ص242.
[2] بوركهارت : المصدر السابق ، ص329.
[3] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص242-243.

المبحث الثاني: تركيبة المجتمع

إن النسيج الاجتماعي في بلد يؤثر بقوة على توجهاته السياسية والثقافية وغيرها، والتركيبة السكانية تحمل في طياتها معتقدات مختلفة أيضا، اضافة إلى العادات والتقاليد المتنوعة، ويحاول المجتمع دوما أن يذيب الفروقات ليلتحم أبناؤه في بوتقة واحدة، وكلما كان المجتمع أقدر على الترابط كان أقدر على المواصلة بنجاح [1].

المطلب الأول: تركيبة مجتمع البدو والحضر

ويمكن اعتبار المجتمعين المكي والمدني أكثر المجتمعات شبها بالمجتمع الأول بالمدينة المنورة زمن النبي صلى الله عليه وسلم لأن الأعراق وشرائح المجتمع المختلفة كثرت به، فالحج والعمرة لا ينقطعان في العام كله، والقادم إلى المدينتين منهم من يحب المجاورة لعام أو أكثر، وبذلك تتشكل الجاليات العرقية بسرعة، كما أن الوارد إليهما سرعان ما يجد احتضانا من جاليته فترة من الزمن، وبالتالي يكتسب المجتمع بُعدا آخر مع زيادة عدد الجاليات، وقد تنوعت نظرة الرحالة إلى فئات المجتمع فمنهم من أثارته التنوعات الثقافية ومنهم من وصف التنوعات العرقية ومنهم من جمع بينهما [2].

حيث ذكر تايلر أن مختلف الأقوام في أرجاء المعمورة كافة لها عادات توارثتها منذ أقدم العصور، وهذه العادات تخضع لمؤثرات عديدة تتكون من عوامل مختلفة كالمناخ والأرض وحالة

[1] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص284.
[2] نفسه ، ص284-285.

الاستقرار في البلاد التي يسكنون فيها، هذه العوامل لها أثرها في العرب أيضا، وانطلاقا من هذه الفكرة يمكننا أن نقسم العرب إلى طبقات مختلفة طبقا لاختلاف أماكن وجودهم[1]:

1. عرب الصحراء(البدو).
2. العرب الذين يزرعون الأرض على ضفاف الأنهار.
3. العرب الذين يعيشون في المدن (الحضر).
4. قطاع الطرق المتشردون.[2]

فالقبائل البدوية الضاربة في أعماق الصحراء يعيشون ضمن تجمعات عائلية ويتنقلون من منطقة إلى أخرى سعيا وراء الماء والكلأ لأجل مواشيهم، أما في المناطق القريبة من المدن الكبرى حيث تتجاوب الأرض مع الحاجة الزراعية فإن الأعراب ينزلون إلى الأسواق القريبة ليبيعوا منتجات مواشيهم الفائضة عن حاجتهم كالحليب والسمن وثمار أراضيهم، وهذه الطبقة نافعة للخير العام، ولهذا فإن سكان المدن يشجعونهم ويحافظون عليهم [3].

أما العرب الذين يسكنون ضفاف الأنهار فيتميزون بالقسوة وانتهاز الفرص إذا ما واتتهم لسرقة الغرباء، ويرجع سبب اختلافهم عن البدو إلى وجودهم في مساكن ثابتة جعلهم يخضعون للحكام الأتراك، فاقتبسوا منهم عادات وطباع لا يقبلها البدوي، يعمل هؤلاء في زراعة النخيل وتربية المواشي ويفلحون الأرض [4] .

[1] جون تايلر : المصدر السابق، ص38.
[2] المصدر نفسه ، ص38
[3] نفسه ، ص38.
[4] نفسه، ص38-39

أما سكان المدن فيتصفون بالاعتداد والاعتقاد بالخرافات والتظاهر بالتقوى وعدم الثقة بالغرباء، كما يوجد قطاع الطرق المتشردون، وهذه الجماعة تشجبها القبائل الأخرى، ولحسن الحظ فإن عدد هؤلاء قليل[1].

المطلب الثاني: تركيبة مجتمع المدينة المنورة

لم يشهد العالم ارتباطا قويا في مجتمع ما كما شهده مجتمع الهجرة بالمدينة المنورة فقد ذابت الفروق إلا فارق التقوى، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفاخر بالأحساب والأنساب، فالمجتمعات الاسلامية التي تطبق شرع الله تذوب فيها الفوارق، وكلما ابتعد المجتمع عن تطبيق الشريعة كلما زادت الهوة بين أبنائه[2].

وأن الأشخاص من الأمم المختلفة المستقرة في المدينة في الجيل الثاني والثالث منهم قد أصبحوا عربا فيما يتعلق بالطبع والسمات، غير أنهم مع ذلك يتميزون عن المكيين، فهم ليسوا ذوي بشرة داكنة كأهل مكة، فيشكلون بالتالي صلة وصل متوسطة بين أهل الحجاز وأهل شمال سوريا [3].

ويعتبر غالبية سكان المدينة من الوافدين، فهم أخلاط من سائر الأمم الاسلامية، فقد جذبت قداستها الغرباء الذين كانوا في البداية يودون الاقامة فيها لفترة وجيزة، لكنهم سرعان ما استقروا بها وبعد أن ارتبطوا بأعمال تزوجوا وكوّنوا أسرا وماتوا ودفنوا آملين في أن يطولهم من قداسة المكان نصيب، وينحدرون من تركيا ومن سوريا ومصر ومن بلاد المغرب [4] .

[1] جون تايلر: المصدر السابق ، ص39.
[2] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص284.
[3] بوركهارت : المصدر السابق ، ص310
[4] نفسه، ص309،154

ويمكن وصف شرائح المجتمع المدني، بأنه مزيج من الأسر التركية باعتبارهم الحكام، وأن عددهم كثير بسبب تزاوجهم واستقرارهم، والأسر المغربية والمصرية، بالإضافة إلى المستوطنين من اليمن وسوريا والأكراد والأفغان وغيرهم، وقد امتزجت هذه العناصر وظهر ذلك حتى في الملامح وليس في اللغة والعادات فحسب، حيث يندهش الزائر من هؤلاء السكان الذين تزاوجوا واكتسبوا معظم الخصائص العربية [1].

المطلب الثالث: تركيبة مجتمع مكة المكرمة

إن مكة وجدة تسكنها الطبقة نفسها من الناس، كما تتشابه طباعهم وعاداتهم، وسكان مكة أغلبهم أجانب أو نسل أجانب باستثناء بعض بدو الحجاز أو نسلهم الذين استوطنوا بالبلاد، ويوجد في مكة في هذه الفترة ثلاث عائلات فقط من قبيلة قريش القديمة، غير أن المنطقة المجاورة لسوق جدة الكبير ووصول أعداد هائلة من القوافل سنويا والبيت المقدس قد جذبوا عددا كافيا من الغرباء[2]، ففي كل موسم حج يتخلف بعض الحجاج في مكة ويتزوجون بالمكيات، ويمتاز الأبناء بتبني التراث والتقاليد العربية الموروثة، حتى أن المرء لا يمكنه أن يميز بين ذوي الأصل الهجين والعربي الخالص[3].

وأكثر سكان مكة هم الذين أتى آباؤهم من اليمن وحضرموت ويليهم في العدد المنحدرون من الهنود والمصريين والسوريين والمغاربة والأتراك، وهناك أيضا مكيون من أصل فارسي والتتار[4]

[1] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق، ص289.

[2] بوركهارت ، المصدر السابق ،ص153.

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق، ج1 ، ص206.

[4] شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا في القرن 13م ، و ظلوا يسيطرون على كل روسيا وسيبيريا تقريبا، ظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن 15م (عبد الوهاب الكيالي : المرجع السابق،ج1، ص684).

والبخاريون و الأكراد والأفغان، ويحرص المكي على الحفاظ على معرفة موطنه الأصلي كما هي العادة [1].

غير أن هناك فرعا واحدا من أهل شبه الجزيرة القدماء الأصليين ما يزال في مكة هؤلاء هم الأشراف من أهل البلاد، وهم ينسبون نسلهم إلى الحسن والحسين أبناء فاطمة رضي الله عنهم، ويشكل شرفاء مكة طبقة كبيرة لا يقبل بدخولها لأي غريب، وهي تنتشر على أجزاء عديدة أخرى من شبه الجزيرة العربية ، وهم منقسمون إلى عدة قبائل يُختار الشريف الحاكم من احداها[2].

وعلى الرغم من أنهم شعب مختلط، فإن سكان مكة يرتدون الزي نفسه ولهم العادات نفسها كذلك، ورغم أنهم من أصل مختلف فهم يبدون أقل تمسكا بزيهم الوطني وعاداتهم في هذه المدينة المقدسة منها في أي مكان آخر، كما ينشأ أولادهم حسب طريقة المكيين، أما الهنود فهم يشكلون استثناء للقاعدة العامة، فهم جماعة متميزة ويحافظون على لغتهم الأصلية التي ينساها عادة أولاد الغرباء الآخرين الذين غالبا ما تكون أمهاتهم عربيات من أهل مكة[3].

ويصف بوركهارت ازدراء سكان مكة للأتراك الذين أسهم جهلهم للغة العربية وزيهم ونمط عيشهم وسلوكهم الدنيء في انقاص شأنهم في نظر العرب، فضلا عن جبنهم الذي يظهر كلما هوجم حاج في طريقه عبر الصحراء، وقلة الاحترام الذي كان يظهره لهم حكام مكة طالما أن سلطة الأشراف كانت تامة، بحيث إنهم يعتبرون في الحجاز أفضل بقليل من الملحدين، وبالرغم من أن العديد من المكيين

[1] بوركهارت ، المصدر السابق ، ص153-154

[2] المصدر نفسه ، ص154.

[3] نفسه، ص154-155.

هم من أصل تركي، غير أنهم ينضمون بحماسة إلى باقي مواطنيهم في الحط من قدر الأصل الذي ينحدرون منه [1].

ويلقى السوريون والمصريون المعاملة نفسها النابعة من أنفة أهل الحجاز، لكن ذلك ينطبق على السوريين بشكل خاص، إذ أن المصريين من بين كل الأجانب يقتربون أكثر من أهل شبه الجزيرة في العادات واللغة ويحافظون على قدر كبير من علاقات شخصية معهم، غير أن السوري مجبر على أن يتصرف بقدر كبير من التواضع والاحتراس وأن يتكلف على الأقل التهذيب واللياقة[2].

عند المقارنة بين البدو والأتراك يتبين أن الأخيرين يشاركون البدو نقائصهم، ولكن ليست لهم أي فضائل تذكر لتشكر، رغم أن العناصر التركية الموجودة في الجزيرة العربية هم من العسكريين أو غيرهم من العاملين في المنطقة، وقضت السياسة الأوروبية في تلك الفترة تفضيل العنصر العربي عامة على التركي الذي يتولى حكم العرب، وذلك بهدف تحريض المجتمعات العربية لتهديم هذا الصرح الاسلامي الجامع الذي أخذ الأتراك أنفسهم يعملون على هدمه حينما سادت لديهم الروح القومية[3].

[1] بوركهارت ، المصدر السابق ، ص171.

[2] نفسه، ص171.

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ،ج1 ، ص227-228

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

العادات جمع عادة، وتعني الأفعال التي درج الناس عليها وتكررت حتى أصبحت شيئا مألوفا و مأنوسا، وألفته الأبصار لكثرة مشاهدته في الحياة اليومية، وهي نمط من السلوك أو التصرف يُفعل تكرارا، حتى يتم التعود عليه فلا يجد المرء فيه غرابة لرؤيته له مرات متعددة في مجتمعه[1].

أما التقاليد فهي جمع تقليد، ومعناها أن يقلّد جيل الجيل الذي سبقه، سواء في الملبس، أو في السلوك والتصرفات، أو في العقائد والأعمال المختلفة، التي يرثها الخلف عن السلف، وكثيرا ما نرى ترادفا ظاهريا بين كلمتي عادات وتقاليد [2].

إن عادات المجتمع وتقاليده تعد من المؤثرات الثقافية ذات الفعالية الملحوظة في نمو الإنسان، ذلك أن الشخصية الإنسانية تتأثر دوما بما يصلها من معلومات وبما تكتسبه من خبرات وسمات نتيجة لتفاعلها الاجتماعي مع المؤثرات البيئية المتعددة [3].

ومجتمع الجزيرة العربية منذ نشأته هو مجتمع له صبغته الدينية، وهذا الدين هو الذي وحد أصحاب الأعراف المختلفة على تعايش واحد، ولأجل ذلك فلن نجد الكثير من التميز بين المظاهر الدينية والعادات الاجتماعية، مما يتيح لنا فهم خصائص تقاليد مجتمع الجزيرة العربية في عيون بعض الرحالة الذين زاروا المنطقة [4].

---

[1] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، المرجع السابق ، ص157.

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية، المرجع السابق، ص37-38.

[3] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص292.

[4] المرجع نفسه ، ص292.

المطلب الأول: عادات المجتمع في أداء الشعائر الدينية

أولا: في الحــج

بني الاسلام على خمس أسس احداها حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، حيث يقول الحق سبحانه و تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقْ﴾[1]، فالحج إذن فريضة على كل مسلم، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولهذا فقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة بكل حماس[2].

يعتبر الحج أكبر تجمع سنوي للمسلمين، ففي كل عام يقرر مئات الآلاف من الرجال والنساء مغادرة ديارهم وبلدانهم في كل من افريقيا وآسيا للانطلاق في رحلة طويلة إلى الحجاز وخاصة إلى المدينة المقدسة مكة لأداء فريضة الحج ركن الإسلام الخامس[3]

وقد كان العثمانيون يفرضون على المدن المقدسة رقابة مشددة، إلا أن ذلك لم يمنع العديد من الرحالة الأوروبيين من دخول تلك المدن متنكرين، بل ويصل بهم الأمر إلى تأدية مناسك الحج تحت غطاء اسلامي، أو على الأقل تظاهرهم باعتناق الاسلام، لذلك استغل هؤلاء موسم الحج إلى الأماكن المقدسة وتزيّوا بزي الحجاج وانخرطوا بين قوافل الحج بعد أن يطلقوا لحاهم ويغيروا أزياءهم، وبفضل أولئك الرحالة توافرت للأوروبيين معلومات عن شعائر الحج وطرق العيش في المدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة خاصة[4].

---

[1] الآية : 27 من سورة الحج.

[2] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، المرجع السابق ، ص261.

[3] Umar Ryad : The Hajj and Europe in the Age of Empire ,BRILL, LEIDEN(BOSTON),P81.

[4] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، المرجع السابق ، ص261-262.

ويتجمع الحجاج في عواصم معينة لتنطلق جموعهم في قافلة في دروب الحجاز، فهناك قافلة دمشق وهي خاصة بحجاج المناطق الشمالية، وهناك قافلة مصر التي تنطلق من القاهرة، وتلتقي قافلة الحج المصرية مع قافلة بغداد قبل بضعة أيام من وصولهما إلى مكة المكرمة، وهناك أيضا قافلة اليمن وقافلة عمان وقوافل أخرى، وأن عددا كبيرا من حجاج فارس والهند وجاوة وفجاج أخرى في الشرق يفدون عن طريق البحر إلى جدة، وإن كثيرا من قوافل الحج تتعرض للنهب والسلب خاصة من قبيلة حرب التي هي الأوفر نفرا بين قبائل الحجاز تمتد ديارها بين مكة والمدينة [1].

تحدث بوركهارت عن الحج في قوله: "وصل سنة 1814 العديد من الحجاج إلى مكة، قبل ثلاثة أو أربعة أشهر من الوقت المحدد للحج، فإمضاء شهر رمضان في المدينة المقدسة يشكل اغراء كبيرا لمن يستطيع تحمل النفقات من الحجاج، ويتعاقد الحجاج عادة مع مقوّم وهو شخص يقوم بتأمين الجمال والمؤن للحج، ويتكلف كل مقوّم بنحو عشرين إلى ثلاثين حاجا وهو يملك خيمه وخدمه ويريح الحجاج من أي إرهاق أو مشاكل على الطريق "[2].

ويضيف أنه شعر بالاطمئنان في ذلك المكان الذي يقصده الخلق من كل فج عميق حيث لا لون يفصل بينهم ولا جنس، وأن العرب كانوا ما إن يفرغوا من الحج بعد وقفة عرفات حتى يأخذوا طريقهم إلى مكة ويتوقفوا في مزدلفة فتفاخر كل قبيلة الأخرى بأنسابها وتذكر أمجادها وأبطالها وأيام حروبها[3].

وبعد أداء فريضة الرجم يذبح الحجاج الحيوانات، وهم ملزمون في هذا الوقت بأداء الشعيرة نفسها، ويمكن اختيار أي مكان للتضحية التي تؤدى في كل زاوية من وادي منى، غير أن المكان

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1 ، ص128

[2] بوركهارت : المصدر السابق، ص206،208

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1 ، ص202

المفضل هو صخرة ناعمة ملساء على طرفه الغربي حيث ذبحت عدة آلاف من الخراف في ربع ساعة[1].

أما بيرتون فيصف الحجاج وخاصة الأتراك منهم بأنهم يحملون ما يسمى بالحمايل لتقوم بأداء مهمة مقدسة، والحمايل عبارة عن كيس لحفظ المصحف، وهذا الكيس مصنوع من مخمل قرمزي مطرز بالذهب تطريزا جميلا وقد تكون الحمايل صندوقا مغربيا (مراكشيا) أحمر معلقا بخيوط حريرية حمراء فوق الكتف اليسرى[2]، ويصف زيارته إلى بيت الله وأدائه للعمرة ويورد وصفا تفصيليا عن أدائه للعمرة، والأماكن المهمة والمتنوعة التي تؤدى فيها شعائر الحج بالحرم الشريف، ويصف شعائر فريضة الحج والتي تستمر على مدار ثلاثة أيام، وتجربته في وادي منى أثناء اقامته هناك بعد أداء الحج[3] .

كما أشار أن مشكلة الحجاج المعوزين الذين يتركون بلدانهم خاصة في الهند سيكون لها آثار سياسية، بحيث تشكل نمطا خطيرا للهجرة الاسلامية والتطرف في الأراضي الاسلامية المقدسة، وفي نظره أصبح الحج متنفسا للتطرف الاسلامي والمشاعر المعادية لبريطانيا، علاوة على ذلك فقد فهم مدى سهولة انتشار الآراء السلبية حول الحكم البريطاني إلى أجزاء أخرى من دار الاسلام عبر الحج[4].

[1] بوركهارت : المصدر السابق ، ص230

[2] بيرتون: المصدر السابق، ج1 ، ص194

[3] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، المرجع السابق ، ص263.

[4] Michael christophoer low empire the hajj: pilgrims, plagues, and pan Islam under British surveillance (1865- 1905) Cambridge university press, 2008, p 275.

ثانيا: في شهر رمضان

تصدى الكثيرون للكتابة عن شهر رمضان من زوايا متعددة وكتب بعضهم عن رؤية الرحالة للعادات والتقاليد والقيم في البلدان الإسلامية التي زاروها، فقد اعتنى الرحالة الأوروبيون من خلال رؤيتهم لأحوال المجتمعات الشرقية وما تمثله من عالم غريب حافل بكل ما هو مثير من وجهة نظرهم، برصد كل مظاهر المعتقدات الشعبية المتوارثة، وكان من بينها مظاهر الاحتفال بشهر رمضان، فقد دون الرحالة ما شاهدوه من احتفالات المسلمين بشهر رمضان، ووصفوا حياة الناس خلال الشهر الكريم بكل صدق وأمانة ، في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى أنهم عبّروا عن تعاطفهم مع العرب المسلمين البسطاء، الذين يعانون محنة صيام شهر رمضان في شهور الصيف الحارة[1].

حيث ذكر بوركهارت ذلك بقوله: "خلال شهر رمضان يكون المسجد متألقا بشكل بارز، ويؤدي الحجاج في تلك الفترة عامة فروض الصلاة الثلاثة الأولى في المنزل، لكنهم يحتشدون في مجموعات كبيرة في المسجد لعبادتهم وصلواتهم المسائية "[2]،لأنه اضطر أن يبقى شهرا في مكة بسبب الوضع العسكري في البلاد وحملات محمد علي باشا(1805-1840م) والي مصر[3].

كما أنه عبّر عن دهشته لبهاء الحرم ليلا، حيث تتلألأ فيه أنوار آلاف المصابيح التي تضاء طيلة شهر رمضان كما هي العادة في كل موسم، ووصف كل حاج صائم أنه يحمل في منديله تمرات وقطعة خبز وشيئا من الجبن، وكان بعضهم يحمل شيئا من العنب، يضع كل معتمر منهم منديله أمامه في انتظار موعد الآذان، ويقوم بعض الحجاج بالسير بين الصفوف يحملون عناقيد العنب يضعونها أمام الصائمين، وحين يعتلي المؤذن المبنى الذي يقع فوق زمزم وينادي الله أكبر يسارع

[1] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، المرجع السابق ، ص253،241.
[2] بوركهارت : المصدر السابق ، ص136
[3] سمير عطا الله: المرجع السابق، ص60.

الجميع فيشربون من ماء زمزم الموضوع في جرار أمامهم، ثم يتناولون شيئا من الطعام الذي أمامهم قبل أن يقوموا للصلاة التي ما إن يفرغوا منها حتى ينصرفوا إلى خارج الحرم لتناول طعام العشاء ثم يعودون إلى الحرم مرة أخرى لأداء صلاة العشاء [1].

المطلب الثاني: لباس السكان

أولا: الرجال

وصف نيبور بدو هذه البلاد بأنهم لا يلبسون سوى الاحرام وزنارا[2]، أما الصيادون وعامة الشعب في جدة فلا يلبسون الاحرام بل يكتفون بقميص(جلباب) واسعة وزنارا حول الخصر يدسون فيه سكينا صغيرا يقطعون به أعناق الأسماك ما إن يصطادونها، ويتبع الأعيان في جدة طريقة الأتراك في القاهرة وفي القسطنطينية في اللباس باستثناء القماش فهو أرق لأنهم يعيشون في مناخ حار [3].

أما البحارة فيضعون حبلا حول رؤوسهم بدلا من العمامة، ويعتمر بعض منهم نوعا من القلنسوة مصنوعة من أوراق النخيل الخضراء المتشابكة ولا يرتدون سوى قطعة قماش يلفونها على أردافهم، كما يحمل كل منهم رمحا في يده [4].

والملاحظ أن الذكور من أهل مكة وجدة كلهم موشومون بعلامة معينة، ويقوم بذلك أهلهم حين يبلغون أربعين يوما من العمر، ولا يتبع البدو هذه العادة، لكن المكيين يعتزون بالتمييز الذي يحول

---

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1، ص203.

[2] حزام خاص يشده النصراني على وسطه (مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ،ط4 ،مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، 2004 ، ص403).

[3] نيبور : المصدر السابق ،ج1 ، ص240.

[4] المصدر نفسه ، ص246

دون أن يدعي سكان الحجاز الآخرين من البلاد الأجنبية شرف ولادتهم في المدن المقدسة، ويطبق هذا الوشم أحيانا على الفتيات الصغيرات [1].

إن زي الطبقات الثرية في الشتاء هو عبارة عن ثوب أو عباءة جوخ[2] فوقية وجبة، أو عباءة تحتية من القماش نفسه، كما يلبس الزي نفسه في أنحاء تركيا كلها، فضلا عن عباءة حريرية مزخرفة مشدودة بوشاح من الكشمير الرقيق وعمامة من الموسلين الأبيض وخفان أصفران يشكلان تتمة للثوب، ويرتدون بدلا منه في فصل الصيف زيا مؤلفا من قماش حريري بالغ الرقة من صناعة هندية[3].

ولا ترتدي الطبقات الدنيا عادة في فصل الصيف إلا قميصا وعوضا عن السروال قطعة من التّنكين الأصفر الهندي (قماش قطني متين) أو الكتان المصري المخطط حول الخاصرة، ويرتدون فوقها في فصل الشتاء بُدنا[4] من الخام الهندي المخطط لكن من غير حزام لشدها حول الجسم، وينتعلون الصنادل بدل الأحذية لأنها تساهم في برودة القدمين، وتأتي أفضل الصنادل من اليمن حيث تبدوا أنواع الصناعة الجلدية كلها في ازدهار[5] .

في حين يرى بيرتون أن زي العرب يتغير في المدن والمناطق الأكثر تحضرا فرأس الشيخ العربي ذات الشعر الطويل أو الحليقة قد علتها طاقية بيضاء من قطن يعلوها كوفية[6] من حرير وقطن مختلطين لونها أحمر باهت وحوافها صفراء صفرة خفيفة، محاطة بفتائل حريرية مجدولة يتدلى منها

---

[1] بوركهارت : المصدر السابق ، ص155.

[2] نسيج صفيق من الصوف (مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص145).

[3] بوركهارت : المصدر السابق ، ص155.

[4] الثوب الذي يقع على الظهر والبطن دون الكمين والجانبين (مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص44).

[5] بوركهارت : المصدر السابق ، ص156.

[6] نسيج من حرير أو صوف أو نحوهما يلبس على الرأس أو يدار حول الرقبة (، أحمد مختار عمر : المرجع السابق، مج3، ص1971).

شراريب تصل إلى الخصر، ويثبت الكوفية على الرأس عقال يُعقد من الخلف وتتدلى الكوفية لتظلل على العينين، ويقاتل المشايخ والزعماء عادة وهم ملثمون، واللثام هو وسيلة التنكر المعتادة عندما يكون الرجل خائفا من أن يأثر منه أحد، كما تتلثم المرأة عندما تشرع في الأخذ بثأرها، كما يستخدم اللثام عندما يكون الجو حارا لاتقاء الحرارة أو عندما يكون الجو باردا لاتقاء نزلات البرد[1] .

أما لباس الجسم فهو ببساطة قميص قطني بأكمام محكمة مفتوح من الأمام ومزين حول الخصر والرقبة وأسفل الصدر بتطريز مشبك، ويغطي هذا الثوب كله من الرقبة إلى القدمين، ويلبس بعض العرب سراويل واسعة، إلا أن البدو يعتبرون ذلك نوعا من التخنث، فالبدو لا يلبسون حتى العباءات كما لا يلبسون الجوارب وفوق القميص يلبس الشيخ العربي عباءة من شعر الجمل قصيرة الأكمام، والعباءات على أنواع مختلفة فمنها ما هو من حرير خالص، ومنها ما هو من صوف خشن[2].

أما العشائر العربية الفقيرة فيلف الواحد منها حول جلد خصره مباشرة قطعة طويلة من جلد خشن و ذلك لتقوية الظهر، ويطوقون القميص عند الخصر بحبل أو حزام خشن، فعلى جلد الخصر مباشرة يضع المسافر كيس النقود ويغطيه القميص الذي يطوق بشال يعلوه حزام جلدي [3].

يرتدي الرجال من ذوي الشأن الجبة التي عادة ما يكون لونها فاتحا يخطف الأبصار، وهذه هي اختيارات الرجال الذين يتمتعون بذوق راق ويتبعون أصول الأناقة، ولا تختلف جبب أهل المدينة عن جبب أمثالهم في مكة، وبصورة عامة فإن فقراء الحجاز مثل أثريائهم يفضلون الألوان الفاتحة، أما العباءة الطويلة التي لا أكمام لها فلا يلبسها إلا أفراد الطبقات الدنيا، ويشتهر أهل المدينة بلبس

[1] بيرتون : المصدر السابق ،ج1، ص192

[2] المصدر نفسه، ص192-193

[3] نفسه، ص193.

الطربوش التونسي الأحمر، ويرى بيرتون أنه أسوأ غطاء للرأس يمكن للمرء أن يستعمله، ويأسف لأن الكوفية والعقال، وهما أكثر أغطية الرأس ملاءمة لأهل المنطقة قد باتتا في سبيلهما إلى الانقراض [1].

ثانيا: النساء

ترتدي نساء مكة عباءات من الحرير الهندي وبنطالا فضفاضا أزرق مخططا يصل إلى الكعبين وقد طرز في الأسفل بخيط فضي، ويحجبن وجوههن ببراقع بيضاء اللون أو زرقاء فاتحة ويعتمرن على الرأس المغطى بالملاءة قلنسوة مثل الرجال لف حولها قطعة من الموسلين الملون في عدة ثنيات، ويلبس العديد منهن العقود الذهبية والأساور والخلاخل الفضية، وترتدي النساء الأقل ثراء القميص المصري الأزرق وبنطالا فضفاضا وأساور من القرنيات أو الزجاج أو الكهرمان [2].

ولباس النسوة في المدينة أنيق كلباس الرجال، فهن يرتدين ثوبا بأكمام واسعة وينساب طويلا إلى القدمين، أما السروال فليس واسعا كسراويل المصريات لكنه أكثر احكاما وهو قريب من السروال الهندي، وإذا خرجت المرأة طرحت على رأسها ملاءة حريرية أو قطنية مصبوغة بالأبيض والأزرق على شكل مربعات كمربعات الشطرنج، أما البرقع فهو أبيض في سائر أنحاء الحجاز، والنسوة من كل الطبقات يصبغن أقدامهن وأكفهن باللون الأسود، ولا يختلف لباس نساء ينبع عن لباس نساء مصر إلا قليلا، اللهم إلا في الحجاب، فحجاب نساء ينبع أبيض بشكل عام [3].

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج2 ، ص63

[2] بوركهارت: المصدر السابق ، ص157-158

[3] محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة ، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة(السعودية) ، مج2، 2000 ،ص480،411

أما عن الحلي وأدوات الزينة فهي مختلفة اختلافا شديدا كما هو المعتاد لدى الشرقيين فهي تتراوح بين الأساور النحاسية والترتر[1] من ناحية إلى الذهب والأحجار الكريمة من ناحية أخرى، وهن شغوفات بالعطور القوية كالمسك والعنبر وعطر الورد وزيت الياسمين والصبار ومستخلص القرفة[2].

ويلبس الرجال والنساء أيضا أحذية إستانبولية، كما ترتدي المرأة جوارب تحت خف داخلي من جلد أصفر فاتح وتغطي الكعب بالبابوش المصنوع من الجلد أيضا الذي يزين أطرافه المخمل أحيانا، كما تحمل قاعدته في منطقة تجويف القدم شغلا ذهبيا على هيئة أوراق نبات أو غصينات متفرعة صغيرة [3].

المطلب الثالث: عادات المجتمع في الأعياد والمناسبات

أولا: في الزواج

إن الأوروربيين على خطأ حين يظنون أن أمر الزواج عند المسلمين يختلف كثيرا عنه عند الأوروبيين، إذ لا يوجد أي اختلاف مثل هذا في شبه الجزيرة العربية، فالتعدد في حقيقة الأمر موجود عند المسلمين، وهذا أمر يزعج النساء الأوروبيات، فهذا الامتياز مقصور على الأثرياء، أما الآخرون فلا يعدّون التعدد امتيازا بل يرون فيه ارهاقا لهم، فعلى الزوج الذي يعدد أن يراعي المساواة التامة بين زوجاته [4].

[1] رقائق معدنية أو بلاستيكية مستديرة لامعة صغيرة ذات ألوان متعددة توشّى بها ملابس النساء (مجمع اللغة العربية : المرجع السابق ، ص[288])

[2] محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف : المرجع السابق ، مج2 ، ص481.

[3] المرجع السابق، ج2 ، ص62. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم

[4] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق،ج1 ، ص156

فالزواج عند المسلمين منظم بعقد يعقده القاضي ويوقع عليه الشهود، وأشار إلى أن المسلم يمكنه أن يتزوج من النصرانيات واليهوديات من دون حرج ولا يجبرهن على ترك دينهن، ولكن لا يمكنه الزواج من الهندوسيات وعابدات النار[1].

ويحضر الأعراس إناث محترفات يغنين ويرقصن وهن لا ينتمين إلى الفئة الفاسقة التي ينتمي إليها المغنون والراقصون الشعبيون في سوريا ومصر، وتنقل العروس إلى بيت زوجها ترافقها كل صديقاتها، ولا تستعمل ظلة[2] في هذه المناسبة كما هي الحال في مصر ولا الموسيقى، ولكن يتم عرض الثياب الفاخرة و الأثاث المنزلي، كما أن المأدبة فخمة وغنية وتدوم غالبا ثلاثة أيام أو أربعة، عند تسوية الزواج يحمل المال الواجب دفعه للعروس في موكب من منزل العريس إلى منزل والد العروس ويحمل عبر الشوارع فوق منضدتين خفيضتين وقد لف بمنديل أنيق وغطي مجددا بقماش من الساتان المزركش المطرز، و يسير أمام الشخصين اللذين يحملان المنضدتين شخصان آخران مع قارورة من ماء الورد في يد ومبخرة في الأخرى يحترق فوقها أنواع الطيوب والعطور كلها، ويلحق بهم في الخلف في صف طويل أنسباء العريس وأسرته وأصدقاؤه كلهم وقد تزيّوا بأفضل ثيابهم، ويتراوح المبلغ الذي يقدم للعذارى في مكة بين الطبقات العريقة بين أربعين إلى ثلاثمائة دولار وبين عشرة إلى عشرين دولارا بين الطبقات الفقيرة، ويتم دفع نصف المبلغ عادة ويترك النصف الآخر في حيازة الزوج الذي يدفعه في حال أراد تطليق زوجته [3].

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق،ج1، ص157

[2] ما يستظل به من الحر أو البرد، قد تكون من شجر الصفصاف(أحمد مختار عمر: المرجع السابق، مج2، ص1438)

[3] بوركهارت : المصدر السابق ، ص182-183

ثانيا: في الأعياد والمناسبات الدينية

تتباين فرحة العيد من بلد لآخر، ولكل منطقة عادات وتقاليد معينة تختلف عن الأخرى، وتتنوع مظاهر التعبير عن فرحة العيد، فهناك خصوصية لكل شعب في طريقة الاحتفال بالعيد، ولكن جميع الدول الاسلامية تشترك في أهم مظاهر الاحتفال كصلاة العيد التي تتم في المساجد والساحات المفتوحة، وارتداء الأطفال لأجمل الثياب، وتحول الشوارع والساحات للتعانق وتبادل التهاني[1].

حيث وصف تايلر احتفال العرب بالعيد بقوله: " أمضى الرجال ذلك اليوم في التمرن على الأسلحة النارية، فكانوا وكأنهم في يوم عيد ولقد أظهر العرب من المهارة في هذا الميدان شيئا كبيرا، في طريقة الإمساك بالسلاح وفي طريقة استعماله "[2]، في كناية عن احتفال البدو بالعيد بإطلاق العيارات النارية ابتهاجا واحتفالا بتلك المناسبة السعيدة [3].

وعن احتفال أهل المدينة المنورة بالمولد النبوي الشريف، يقول بوركهارت : " أعتقد أن ليس لأهل المدينة أوقات أخرى للابتهاج العام غير أيام الأعياد العادية ، باستثناء عيد مولد النبي في الثاني عشر من ربيع الثاني، ويعتبر هذا اليوم عيدا وطنيا فتقفل المتاجر جميعها خلال النهار ويبدو الجميع في أبهى حللهم "[4].

أما المكيون فيظهرون خلال أيام الأعياد الدينية ولعهم بالثياب بدرجة أكبر بكثير، فمن الأكثر ثراء إلى الأشد فقرا وعوزا، على كل شخص أن يكون حينها مرتديا ثوبا جديدا، وإذا ما كان عاجزا عن الشراء فإنه يقوم باستئجار واحد من التجار ليومين أو ثلاثة أيام، فينفق أحيانا في هذه المناسبات ما

[1] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، المرجع السابق ، ص274.
[2] تايلر : المصدر السابق ، ص29.
[3] علي عفيفي غازي : بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، المرجع السابق ، ص278
[4] بوركهارت: المصدر السابق ، ص322

يعادل مائة ليرة لاستئجار ثوب ربما يبلغ ثمنه ألفا وخمسمائة إلى ألفي ليرة ولا يرضى أحد حينها بثوب يلائم منزلته الاجتماعية، لكنه يرتدي ثوبا يوافق الطبقة الأرفع منه منزلة، كما يرتدي الأولاد بالطريقة المكلفة نفسها، وقد يرضى شخص لنفسه بأن يدعى لصا، ولكنه لا يسمح لمن هو في منزلته الاجتماعية نفسها بالتفوق عليه في الملابس والحلي، والألوان المفضلة هي بشكل عام أكثرها زخرفة، وعلى العباءة الفوقية أن تكون دائما بلون مغاير للون الثوب تحتها، وبعد العيد توضع الألبسة الفخمة جانبا ويعود كل واحد إلى حالته المألوفة في الملبس [1].

ولم تكن في مكة أيام العيد المظاهر الاحتفالية العديدة التي تميز تلك الأيام في مناطق أخرى من الشرق، كذلك فإن أيام العيد الثلاثة كانت تخلو من مظاهر البهجة أيضا، ولربما كان المظهر الوحيد للاحتفالات وجود بعض المهرجين المصريين وهم يستعرضون قدراتهم أمام الجموع التي تجمهرت حولهم في الشوارع [2].

ثالثا: في الجنـائز

وعن عادات أهل المدينة المنورة في الجنائز، يقول بوركهارت : " أعتقد أن هذه المدينة الوحيدة في الشرق التي لا تولول النساء فيها وتبكي على موت أحد أفراد العائلة، فالعادة المعاكسة التي تمارس عامة هي شائعة جدا بحيث لا تدعوا الحاجة إلى تكرارها هنا، بل يتم في أجزاء أخرى من الشرق استدعاء طبقة معينة من النساء في تلك المناسبة ومهنتهن الوحيدة هي الولولة والنحيب بأشد النبرات تمزيقا للقلب وذلك لقاء مبلغ زهيد يدفع لهن في الساعة، وليس هناك مثل هذه الممارسات هنا(رغم أنها معروفة في أجزاء أخرى من الحجاز)" [3].

[1] بوركهارت: المصدر السابق ، ص157

[2] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق،ج1، ص204-205.

[3] بوركهارت: المصدر السابق ، ص323

وهناك أيضا عادة وطنية تمارس في الجنائز، حيث يُحمل النعش عند الخروج من منزل المتوفى على أكتاف بعض أقاربه أو أصدقائه ويتبعهم من تبقى من الخلف، لكن حين يتقدم موكب الجنازة في الشارع يسرع كل واقف أو مار لإراحة حاملي النعش، فينتقل النعش بالتالي وباستمرار من كتف لآخر إلى أن يوضع أخيرا بالقرب من القبر، وإذا ما افترضنا للحظة أن هذه العادة البسيطة والمؤثرة كانت نتيجة المشاعر الصادقة الحقيقية، فإن ذلك سيظهر حساسية مرهفة أكثر مما يظهره الأوروبيون في موكب الجنازة وهم يرافقون موتاهم إلى القبر، لكن كل ما يقوم به الناس في الشرق يتم وفق العادات القديمة، فإن أصلها يعود بلا شك إلى سيطرة المشاعر أو التقوى والإحساس بالواجب لدى الأشخاص الذين استنبطوا تلك العادات[1].

لا ترتدي نساء المدينة ثوب الحداد فيختلفن في هذا الصدد عن نساء مصر، وقد قال بعض المسافرين أحيانا إن أهل الشرق لا يعرفون ثوب الحداد، لكن هذا خطأ ومضلل بالنسبة إلى مصر على الأقل وجزء من سوريا، وصحيح أن الرجال لا يفعلون ذلك أبدا لأن الشريعة قد نهت عنه[2].

ويدفن سكان المدينة المنورة موتاهم في البقيع، ويجري غرس جريد النخيل فوق القبور ويغير ذلك الجريد كل عام في شهر رمضان عندما تقوم العائلة بزيارة قبور الأقارب[3]، كما يتم دفن الميت بالملابس التي عليه حين موته دون أي طقوس خاصة، ويقوم بذلك رجلان، ولكن عند وفاة شيخ من الشيوخ يطلق عيار ناري مرة أو عدة مرات، وتتم مراسم دفن الموتى ببساطة بأن يوارى في حفرة [4].

[1] بوركهارت: المصدر السابق ، ص323-324.

[2] نفسه، ص324.

[3] علي عفيفي غازي : بدو العراق و الجزيرة العربية بعيون الرحالة ، المرجع السابق ، ص255.

[4] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص224

ولا يختلف لباس الرجال عما هو عليه الحال في المناسبات الأخرى المعتادة وهم في هذا يتصرفون تصرف المسلمين الحقيقيين الذين لا يجزعون عند الموت، أما النساء فهنّ اللائي لا يستطعن السيطرة على قلوبهن، لذا فإنهن يبرهنّ على حزنهنّ وأساهنّ بارتداء ملابس بيضاء والتخلي عن زينتهن [1].

لقد تناول الرحالة الغربيون –موضوع البحث –كل ما تعلق بالحياة العامة لمجتمع الجزيرة العربية، ابتداء بوصف السلطة المركزية التي كانت تحكم المنطقة بجانبيها الحضري والبدوي، ثم الفئات والأجناس الغريبة التي سكنت البلاد فترة البحث بعد أداء فريضة الحج أو العمرة، وكيف أنهم اندمجوا مع السكان الأصليين وكوّنوا مجتمعا واحدا، ووصولا إلى العادات والتقاليد سواء الخاصة بالعبادات وأداء الشعائر الدينية أو الخاصة بلباس وزي السكان والمناسبات العائلية والدينية.

[1] محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف : المرجع السابق ،مج2 ، ص481

الفصل الثالث : كتابات الرحالة الأوروبيين في الميزان

المبحث الأول: منهج الرحالة في الكتابة

المطلب الأول: طغيان الثقافة النصرانية

المطلب الثاني: الروح العدائية للإسلام

المطلب الثالث: الدقة في التعبير والموضوعية في عرض الأفكار

المبحث الثاني: القيمة العلمية لمضمون الرحلات

المبحث الثالث: نقد تاريخـي

المبحث الأول : منهج الرحالة في الكتابة

إن الرحالة الأوروبيين الذين دخلوا الجزيرة العربية قد اختلفت جنسياتهم إلا أن مناهجهم اختلفت لاختلاف مشاربهم وبلدانهم وتوجهاتهم ودوافعهم، لكن مع الدراسة لهذه الرحلات وجدنا سمات يشترك فيها كثير منهم، كما كانت ثمة اختلافات في مناهجهم[1].

ولا شك في أن منهج الكتابة عند الرحالة يختلف عن أسلوب الصناعة التاريخية عند المؤرخ، إذ لا يتقيد الرحالة بطريقة المؤرخين في عرض الحوادث ولا يعتمد الأسلوب الزمني على غرار الحوليات، ولا يجد البعض منهم نفسه ملزما بالتدقيق بسلاسل إسناد رواياته سوى اعتقاده أن ما سمعه يكفي أحيانا كي يدون في رحلته، وهذا الأمر لا ينطبق على كل الرحلات [2].

المطلب الأول: طغيان الثقافة النصرانية

ونتيجة لاعتزاز الرحالة الغربيين بديانتهم، لم يستطيعوا التعامل إلا بشكل عدائي ضد المعتقدات الدينية للعرب التي اعتبروها أدنى مكانة من عقيدتهم فقد وصموا الاسلام بأنه دين زائف قائم على معتقدات خرافية، مما يجعله ملائما لتخلف العرب، وكانوا يجزمون أن هذا الدين إذا خضع للدراسة العلمية فسوف يفقد مصداقيته تماما [3].

ومع إنكارنا لتحليلات نيبور وكافة الرحالة الغربيين الآخرين الذين اعتمدوا في مصادرهم على الرواية فقط، وحكمهم سلبا أو ايجابا على الثقافة الاسلامية، إلا أن نيبور يبقى من أكثر الرحالة

---

[1] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص150.

[2] ماجدة عطية الله أحمد المجنوني : منهج الكتابة التاريخية عند الرحالة الغربيين في منطقة الأحساء من 1910 إلى 1930 ، مجلة العلوم لإنسانية والاجتماعية ، المجلد 4 ، العدد 6 ، جوان 2020 ، ص55

[3] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص95.

الغربيين إعجابا بجوانب من التراث العربي الاسلامي، وهذا ما لا نجده إلا عند عدد قليل من الرحالة الآخرين الذين جاؤوا بعده[1].

بالإضافة إلى قول نيبور أن العرب يشهدون على أنفسهم بأنهم أقل نزاهة من الأوروبيين الذين لا يخلفون بوعودهم ، وأنهم يوصمون أنفسهم بالسرقة والاحتيال والرياء، وأردف بأنه ينبغي عدم تعميم هذه الصفات على العرب كلهم فمنهم من هم على غير ذلك[2].

أما بوركهارت فرحلته لم تحتو على ألفاظ نصرانية صرفة كما وقع لغيره، حيث لا يوجد ما يشير لثقافته النصرانية إلا في وصفه للقبر الشريف بأن ليس هناك أي وجه للمقارنة بينه وبين ضريح القديس، وربما يكون هذا دليلا مقنعا بأن ما يقدمه المسلمون من هبات لم يساو في أي وقت من الأوقات ما قدمه المسيحيون لمقدساتهم، وبدون ذكر كثير للمناسبات الكثيرة التي يمكن أن تقوي عقيدتهم، وبصرف النظر عن معتقداتهم الخرافية وتعصبهم، فالمسلمون لا يبدون استعدادا لتقديم تضحيات مالية لأماكنهم الدينية مثلما يقدمه المسيحيون لمقدساتهم، وهذا من خلفية بوركهارت المسيحية، فهم يهتمون بزخرفة كنائسهم وربما لا يدخلها أحد، والمراد في شريعة الإسلام عمارة المساجد بالطاعة لا عمارتها بالزخارف، بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زخرفة المساجد[3].

كما انساق بيرتون كذلك وراء فكرة زخرفة المساجد كما بالثقافات النصرانية، حيث وصف العرب بأن ليس لديهم إلا فكرة بسيطة عن الفخامة والأبهة في مجال العمارة، وبالتالي نجد بيرتون يظهر

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1 ، ص155.

[2] المرجع نفسه ، ص164.

[3] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص153-154.

الازدراء والاحتقار للمسلمين وشعائرهم بثقافته النصرانية، إذن فبعض كلمات بيرتون توحي ببقاء رواسب من ثقافته النصرانية وقت كتابته[1] .

المطلب الثاني: الروح العدائية للإسلام

إن الروح العدائية لم ترد عند كل الرحالة، كما لم تكن بدرجة واحدة، ولم تكن الروح العدائية للأتراك تعني دوما العداء للإسلام، ولذا فلا بد للدارس أن يأخذ العبارات والنصوص التي يجدها بنوع من الحذر والدراسة العميقة قبل أن يعتمد عليها في تقرير أمر ما يتعلق بالدولة العثمانية .[2]

لقد هاجم نيبور من سماهم أهل السنة الذين اعتقد أنهم كلهم يقدسون الأولياء وينذرون لغير الله و يقسمون بغيره ويتخذون التعاويذ ويؤمنون بالسحر، كما يرى أن أهل السنة أفسدوا الاسلام بإتباعهم أهل الشروح ومجافاتهم النصوص، ويصب جام غضبه على المذاهب الاسلامية الأخرى، لكنه لم يخرجهم من الملّة تماما كما أخرج عنها أهل السنة بجهله زورا وبهتانا، وانتهى نيبور في دفاعه عن الوهابية إلى إدراج كثير من الممارسات التي عدها اصلاحا وهي عند الوهابيين وغيرهم من المسلمين كفر صريح، ووصل في إشادته بالوهابية إلى الاساءة إلى الجنس العربي كله بقوله : (هل يمكن مثل هذا الدين الذي يتعدى المحسوسات وكل شيء ملموس من وثن وغيره، أن يكتسب أرضا بين شعب بدائي جاهل مثل الشعب العربي؟!)[3]

وفي المقابل لم يحس نيبور بأي شعور من التعالي والازدراء تجاه أهالي البلاد، وعرف كيف يؤدي واجب الاجلال لملك اليمن كأنه ملك بلاده، كما ثار على الرأي المتسرع الذي كونه مواطنوه عن العرب، فقد أدرك أن في شبه الجزيرة العربية لصوصا كما هي الحال في جميع بلدان العالم، ولكنهم

[1] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص156.

[2] نفسه، ص158

[3] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1، ص152

أكثر لصوص العالم تمدنا، لأنهم عوضا أن يحذوا حذو اللصوص في تركية الأوروربية الذين يقتلون من يريدون سلبهم، لا يقدمون إلا فيما ندر على قتل من يسلبونهم إلا إذا أبدوا مقاومة شديدة [1].

أما الرحالة بوركهارت فقد كان أفضل الرحالة في حفظ لسانه من العدائية للإسلام، لكنه لم يخف كرهه للدولة العثمانية، فعلى الرغم من أنه مدح حكومة طوسون باشا(والي الحجاز من قبل أبيه محمد علي) بعد الوهابيين إلا أنه وصفه بأنه الوحيد بين أفراد أسرته الذي لم يكن يصرح بإلحاده أو كفره بالله [2].

في حين نجد بيرتون يميل إلى الإنصاف حينما يتحدث عن الإسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، فحينما وجد الناس في المدينة تعتقد في بعض الجبال والقبور وأنها تنفع وتضر من دون الله قال بأنها من بقايا الوثنية القديمة التي تسللت للإسلام[3]، لكنه ذهب إلى الاستدلال ببعض ملامح العرب الجسدية ليبرهن على بدائيتهم، مستغلا ما لديه من معرفة في علم الأنتروبولوجيا ليؤكد وجهة النظر تلك، وتبقى حقيقة أن الرحالة أشاروا إلى العرب باللهجة المتعالية نفسها، ولم يحاولوا مطلقا مقارنة أنفسهم بهم، ويلاحظ القارئ شغفا خاصا عند هؤلاء الرحالة لإبراز أدق الصفات الغريبة التي يكتشفونها عند بعض العرب والإشادة بها[4].

المطلب الثالث: الدقة في التعبير والموضوعية في عرض الأفكار

اتسم وصف أغلب الرحالة الغربيين بالدقة، وبأسلوب فني تأثر بالعوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والعلمية التي أشاروا إليها، وبالنواحي الشخصية لكل منهم من حيث التصور والتأثر والخبرة الشخصية والثقافة العامة ودقة الملاحظة التي يتفاوت فيها الرحالة الغربيون من شخص لآخر،

[1] جاكلين بيرين : المرجع السابق ، ص148-149.
[2] حورية عبد الإله السملي: المرجع السابق ، ص161
[3] نفسه، ص162.
[4] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص94.

فحاولوا الاعتماد على الواقع المشاهد، مبتعدين عن الخيال، كما اعتمدوا على كتب سابقيهم من الرحالة الغربيين، واستفادوا منها شيئا كثيرا، ثم أضافوا ملاحظاتهم، وهم في طريقة تناولهم للموصوف قليلو التكلف في تحسين وتزيين الأسلوب[1].

يقدر القارئ فطنة نيبور وأمانة معلوماته، فقد أحسن تصوير الحالة المؤسفة التي آلت إليها المدينتان المقدستان، تلك الحالة التي أثارت سخط محمد بن عبد الوهاب ودفعته إلى الإقدام على الاصلاح[2]، حيث كان وصف نيبور خاليا تقريبا من الأهواء الشخصية، فهو عبارة عن تقرير رسمي التزم فيه الجانب العلمي، إضافة إلى توخيه الدقة والحذر، كما أنه لم ينتحل شخصيات أخرى مثل أولئك الذين دخلوا مكة أو الذين تجولوا مع البدو وهم متنكرون، ولكن مع هذا فإن من ساهم منهم في دراسة الجزيرة العربية عدد قليل [3].

ويعد بوركهارت أول رحالة يتمتع بالكثير من الموضوعية في رحلته، فقد تجنب مبالغات من قبله، كما أنه اعتمد على منهج علمي وتحليل موضوعي في الكثير من المباحث، كما لم يظهر في كلامه العداء الواضح في كلام غيره للمسلمين، إلا أنه وقع في أخطاء تاريخية وعلمية [4]، مثل ابدائه لملاحظات لاذعة عن محمد علي وادارته السياسية، وسخر من جهله بالعلاقات السياسية والأسس التي تقوم عليها، كما اعتبر أن الوهابيين لا يبدون التبجيل والاجلال الذي يبديه الأتراك للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يوقرون الصحابة [5].

---

[1] ماجدة عطية الله أحمد المجنوني ، المرجع السابق، ص60.

[2] جاكلين بيرين : المرجع السابق ، ص176

[3] روبن بدول : المرجع السابق ، ص43.

[4] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص166.

[5] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : المرجع السابق ، ج1،ص231،199

كما انتقد بوركهارت عدم وجود مؤرخين بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأنه استقصى البحث عن ذلك ولم يجده، مما يشير إلى منهجه العلمي في البحث، كما أنه كان على إلمام، مما جعل مشاهداته لجغرافية الحجاز مبنية على فحص دقيق، وليس مجرد واصف بالصورة الظاهرة، وقد ساعده على ذلك إلمامه بالكيمياء المعاصرة، وذلك بوصفه لحجارة المدينة المنورة السوداء، لكن بأسلوب علمي، حيث علم أن هذه الجبال من نوعية الجبال النارية والبركانية، ولم يذكر اسودادها بسبب غضب الله كما قال بذلك الرحالة الذين سبقوه [1].

لقد شاهد بوركهارت كما شاهد نيبور من قبله، مساحة صغيرة من الجزيرة العربية، ولكنه من الصعب أن تجد رجلين قد وصفا ما شاهداه وصفا دقيقا وشاملا كما فعل هذان الرجلان، إن شخصية بوركهارت وأعماله تضعانه عاليا بين الرحالة المشهورين في التاريخ[2].

أما بيرتون، فقد عرض رحلته بأسلوب صعب الفهم طويل الجمل، كما أغرق في استعمال الصياغات البلاغية والتشبيهات التي استقاها من ثقافات مختلفة اغريقية وأوروبية معاصرة وعربية قديمة وعربية حديثة وهندية وافريقية، مما يرهق القارئ[3]، إلا أن معلومات بيرتون وتحليلاته اتسمت بالدقة والمعرفة، والآراء الصائبة في الكثير من الأمور، ولعل ذلك يعود لتغلغله في أوساط المسلمين سواء كان ذلك في الهند أو مصر أو الحجاز، كما أن اعتماد بيرتون على بوركهارت تشير إلى اعجابه به، حتى أنه اتبع أسلوبه في الوصف الدقيق وذكر التفاصيل، بل زاد في هذا الجانب بعض المصادر التي رجع إليها إضافة إلى رؤيته الشخصية [4].

---

[1] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص166.

[2] روبن بدول : المرجع السابق ، ص53.

[3] بيرتون : المصدر السابق ، ج1 ، ص13

[4] حورية عبد الإله السملي : المرجع السابق ، ص167.

كما برع الرحالة في وصف الطرق التي سلكوها بدقة شديدة، مع وصف إحساسهم سواء كان خوفا أو هدوءا، ولأن الطرق التي سلكها الرحالة كانت صحراوية فقد حرصوا على تعيين أماكن الماء، ومدى غزارة العيون وعذوبتها بعد قيامهم بتذوقها، وتقصي تاريخ هذه العيون، هل هي من الأحباس؟ أم هي من عمل الدولة لخدمة السكان؟ [1]

ولأن الرحالة الذين تم الاعتماد عليهم كانوا مكلفين بالقيام بمهمات لحكوماتهم فقد حرصوا على كتابة تواريخ تنقلاتهم بالسنة والشهر واليوم والساعة، محددين أوقات سيرهم ليلا أو نهارا، وربما كانوا يستعينون –عندما تطول رحلتهم ويشعرون بطول المسافات بالمبادرة إلى التأكد من سلوكهم الطريق الصحيح– بسؤال أهل المنطقة [2].

كما نستطيع من الناحية الجغرافية أن نستخرج معجما للأماكن التي مر عليها الرحالة، وإن كانت هناك بعض الأخطاء في أسماء ومدن المواقع التي يمكن تصحيحها من المعاجم الجغرافية الخاصة من قبل أهل المنطقة، كما تعتبر الرحلات الغربية مدونات صغيرة الحجم ولكنها غزيرة المعلومات، لا يعرف ما بداخلها إلا بعد القراءة والتأمل واستخلاص المعلومات السياسية والاقتصادية والادارية، لذا اعتنى العلماء الأوروبيون كثيرا بدراسة الأجزاء العميقة من أراضي شبه الجزيرة العربية[3].

[1] ماجدة عطية الله أحمد المجنوني ، المرجع السابق، ص58.

[2] المرجع نفسه ، ص59.

[3] نفسه ، ص63.

المبحث الثاني : القيمة العلمية لمضمون الرحلات

توافد عدد كبير من الرحالة والمستشرقين من مختلف المشارب والاتجاهات ولأهداف مختلفة، قدم هؤلاء- كل حسب الهدف الذي أتى من أجله - الكثير من المعلومات التي حصلوا عليها من تجوالهم عن شؤون وأوضاع المجتمعات العربية المجهولة لديهم، وتتفاوت القيمة العلمية لما كتبه هؤلاء، وما قدموه من معلومات من رحالة إلى آخر، إلا أن ما قدموه سيبقى مادة أولية لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في غياب الوثائق والسجلات المحلية، وقد سجل هؤلاء الرحالة الكثير من التفاصيل الدقيقة التي تعبر عن الحياة اليومية لسكان المنطقة العربية [1].

وتأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسا قامت على التجربة والملاحظة المباشرة، فهذا الأمر كان واضحا جليا في جميع الرحلات، فالرحالة قد اعتنوا بالمسالك وقياس المسافات والطرق وغيرها، فلم يفتهم وصف الطرق التي سلكوها وتسجيل المسافات التي قطعوها والمعالم التي شاهدوها، بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهوها والمحطات التي نزلوها، كما بادروا بالتحذير من مناطق الأخطار ونصحوا بسلوك طريق الأمان، فيتجلى من كل ذلك خلاصة التجربة التي مروا بها ومن ثم قدموها [2].

وطبيعي أن كتب الرحلات ليست كتب تاريخ، ولكنها مصادر مهمة للمؤرخ، لأن الرحالة في العادة تستهويهم جوانب دون أخرى من المجتمعات، لذا يعد نص الرحلة وثيقة تاريخية مهمة يستفيد منها المؤرخ ودارس التاريخ، لأن الرحالة قد يتحدث عن المعالم التاريخية التي زارها، ويدون الأحداث

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص80.
[2] ماجدة عطية الله أحمد المجنوني ، المرجع السابق ، ص64-65

التي عايشها عن قرب أو سمع عنها، ويتعرض للعادات والتقاليد التي عاينها، وغيرها من الجوانب التي تشكل مادة خصبة لدارس التاريخ[1].

وفي الحقيقة أن ما دونه هؤلاء وكتبوه عن أحوال البلاد الاجتماعية تعتبر ثروة تاريخية وأدبية عظيمة الفائدة، ومصدرا من أوثق المصادر[2]، وبالتالي تكتسي كتابات الرحالة مكانة خاصة في المكتبة الثقافية عامة، والتاريخية خاصة نظرا لما تتضمنه من معلومات قيمة وما يتناثر في صفحاتها من وصف لواقع مرئي، اطلع الرحالة عليه فهي بذلك سجل حافل بالمشاهدات والمعاينات، كما تمثل وثيقة مدونة عن التراث والتقاليد والتاريخ والجغرافيا [3]، ويجب التأكيد على أن ما في هذه الكتابات من وجهات نظر إنما تعكس ثقافة الرحالة وانطباعاته وأفكاره ومعتقده، وليست كلها دقيقة وليست كلها صحيحة وكلها من وجهة نظر غربية، إلا أنها في غياب الرحالة والموثقين العرب في تلك المرحلة تعد المصدر الوحيد عن طبيعة الحياة في ذلك العصر، وليس لمؤرخ أو باحث أن يفهم وأن يدرك طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية في المنطقة خلال تلك المرحلة، ما لم يقرأ تلك الأوصاف الدقيقة للبيئة البشرية والطبيعية التي كانت قائمة آنذاك[4].

لقد أثبتت هذه الكتابات أنها مصدر مفيد للمعرفة، ونظرة جديدة لصورة كل مجتمع مقارنة بالمجتمعات الأخرى وضرورة في عالم تطورت فيه قنوات الاتصال بشكل كبير وأصبح التواصل بين

---

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة مصدر تاريخي ،دط ، كتاب المجلة العربية ، الرياض، 2018، ص71-72.

[2] نيبور : رحلة نيبور إلى العراق في القرن 18م تر: محمود حسين الأمين ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد(العراق) ،د ط ، 1965 ، ص5.

[3] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص77.

[4] سمير عطاالله : المرجع السابق ، ص16.

المجتمعات سهلا للغاية، وبالتالي ادراك الناس للاختلافات الموجودة بينها جدير بالاهتمام وهنا تأتي أهمية أدب الرحلات[1] .

ورغم أن الرحالة الأوروبيين قدموا معلومات ضافية عن شبه الجزيرة العربية ورسموا صورة للحياة العامة فيها خلال القرون المنصرمة، وأضافت كتاباتهم الكثير من المعلومات عن حياة الناس والحجيج بها، إلا أنه لا يمكن الاعتماد على ما جاء بها صافيا خالصا من كل وجه، ففيه المبالغات بل والكذب أحيانا، كما فيها العديد من الأخطاء الشرعية والعلمية والتاريخية [2].

وعلى الرغم من عدم قبولنا جميع ما كتبه الرحالة فمن المؤكد أن كتاباتهم تشكل مصدرا لا يمكن الاستغناء عنه عند كتابة تاريخ المنطقة، وقد تمت الاستفادة من هذه الكتابات في عدد من الأبحاث والدراسات الحديثة التي تعنى بالتاريخ، ولا شك أن القيمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لتلك الرحلات لا تقدر بثمن، لأنها تؤرخ لحقبة زمنية اكتنفها الغموض، كما أن الأعمال التي قاموا بها، وصبرهم على مناخ الجزيرة الصحراوي، بالإضافة إلى عدم توفر الأمن، كل ذلك يجعلنا نحترم تلك الجهود بصرف النظر عن تلك الأهداف التي جاؤوا من أجلها[3].

فقد قام نيبور باستكشافات أثرية في بلاد الشرق الأدنى فخلد له اسما محمودا ولا سيما في أبحاثه التي أجراها في الجزيرة العربية، ونجد أن هذا الرحالة قد أصبح في عام 1765 أول رجل يختلف عمن سبقه من الرحالة الهواة في اهتمامه بالكتابات المسمارية وبادر إلى استنساخها بصورة مضبوطة، فجاءت مستنسخاته أقرب من غيره تشابها مع النصوص الأصلية، وعند عودته إلى ألمانيا

---

[1] عبيد علي بن بطي : كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور(ندوة) ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي(الامارات) ، 1996 ، ص14 .

[2] حورية عبد الإله السملي ، المرجع السابق ، ص169

[3] علي عفيفي غازي: كتابات الرحالة مصدر تاريخي، المرجع السابق، ص69-70

جلب معه نماذج من تلك الكتابات المسمارية، وحين قام بنشر ما استنسخه من تلك الكتابات عام 1788 تهافت العلماء على دراستها وحل رموزها وتقديم معلومات أساسية عن مقاطعها وإشاراتها، وبذلك ساعد نيبور على حل رموز هذه الكتابة التي كانت معرفتها فتحا كبيرا في علم التاريخ والآثار[1].

كما قامت بعثة نيبور بعملية مسح عام للبقاع التي زارتها، بحيث رسمت العديد من الخرائط التي اعتبرت ثروة عظيمة أمدتنا بمعلومات جغرافية على قدر عظيم من الفائدة، فقد رسم نيبور أول خارطة للبحر الأحمر بقيت معتمدة حتى الآونة الأخيرة، وكذلك خارطة لبلاد اليمن ومدن مثل البصرة وبغداد والموصل والقدس ودمشق[2].

فعندما يطلع القارئ على وصف نيبور لشبه الجزيرة العربية ، يتعرف على الكثير من شؤون العرب، طبقاتهم الاجتماعية وسلاسل الأنساب وطبقة الأشراف، والخلافات المذهبية القائمة بين الفرق الاسلامية المختلفة: السنة والشيعة والزيدية والثأر للدم، ويطلع على عادات المأكل والمسكن والملبس والزواج والختانة، ويحصل على معلومات عن المدارس والجامعات القرآنية وعلم تاريخ الأحداث عند العرب والفلك وعلوم السحر والتنجيم، وقد استعمل الملاحظات التي دونها زملاؤه فبحث في منتوجات الجزيرة العربية والمعادن والحجارة الكريمة وفي الأشجار والنباتات والزراعة والحيوانات [3] .

أما بوركهارت فيعد من أوائل الرحالة المستشرقين الذين كتبوا عن الدعوة السلفية (حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) والدولة السعودية الأولى، فقد استفادت بريطانيا من آرائه في التعامل مع

[1] نيبور : رحلة نيبور إلى العراق في القرن 18م، المصدر السابق، ص20.
[2] المصدر نفسه ، ص20-21.
[3] جاكلين بيرين : المرجع السابق، ص157

حكومة الحجاز الهاشمية، حيث وصفها وصفا دقيقا جمع فيه بين ما رآه بعينه وجربه بنفسه وقاسه بقدمه وسمعه من مرافقيه والتقطه ممن التقى بهم [1] .

كما نرى في كتاباته إشارات تاريخية وتحليلات وأحكام قيمة، كما أن فيها مفهومات خاطئة، وقد تحرى في تسجيل رحلته الدقة في نقل المعلومة فكتبها على شكل يوميات، وحرص على ذكر اليوم والساعة والوقت واتجاه السير ووصف ما كان يشاهده بدقة وتحرى عن كل منطقة مر بها وعن القبائل التي تسكنها والصفات التي تتميز بها، ويبدوا أنه استفاد من مرشدي القافلة الخبراء بالطريق والمناطق [2].

ولم يعتمد بوركهارت على ملاحظاته الشخصية فحسب، بل ضم في كتاباته معلومات تاريخية استقاها من مصادرها، والتي تعد أمهات الكتب التي تناولت تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد الأزرقي، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي، فقد جمع مادة قيمة ومعلومات مفيدة من هذه الكتب وأشار إليها في كتاباته، حيث قارن بين ما جاء فيها وما يراه ورصد التغيرات إن وجدت[3].

ولما كانت رحلة بوركهارت في وقت شهدت فيه المنطقة تغيرات سياسية ضخمة وهي انحسار الدولة السعودية الأولى عن الحجاز واستيلاء قوات محمد علي باشا عليها، فقد حرص بوركهارت على تسجيل آثار تلك التغيرات في المنطقة كما حرص على تسجيل الأحداث التي مازال الناس يتناقلون أخبارها والتي جرت في العهد السعودي وقارن بين

[1] حورية عبد الإله السملي ، المرجع السابق ، ص72.
[2] المرجع نفسه ،ص72-73.
[3] نفسه، ص73.

العهدين السعودي والمصري العثماني، ولا تخلوا هذه المقارنات وتلك التسجيلات من فوائد كبيرة تساعدنا على إعادة تقويم بعض الأحكام التاريخية [1].

أما بيرتون فقد أمد المكتبة التاريخية العربية والاسلامية بمعلومات في غاية الأهمية عن الحياة الاجتماعية للمصريين والحجازيين، وكيفية الاحتفال بشهر رمضان والعيد ومناسك الحج والأطعمة و الأشربة والأسواق والأبنية، حيث تعد ملاحظاته مهمة وتحمل قدرا كبيرا من الدقة والمصداقية، كما نجده منصفا حيال كثير من القضايا التي ناقشها أو الأحداث التي رآها، فعلى سبيل المثال نراه منصفا حيال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أمام اعتقادات جهلة المسلمين وعوامهم [2].

كما تظهر هذه الرحلة الفارق الثقافي والعلمي آنذاك بين العالم الغربي المتقدم وبين مجتمعات المسلمين التي يسيطر عليها الفقر والجهل والتخلف والجمود الفكري والعلمي، وقد كان بيرتون يملك تحليلا منطقيا لتصرفات الشعوب وخاصة أنه عاش في الهند وعرف كيف يستعبد الانسان أخاه الانسان تحت شعارات طبقية أو مالية أو سياسية [3] .

إن ما كتبه بيرتون عن الحج يعتبر مثل كل كتبه مليئا بالمشاهدات المفصلة والمعلومات الهامشية، ومليئا كذلك بالتحامل المتطرف الممزوج بالفكاهة الممقوتة، ولم يضف بيرتون كثيرا للمعرفة الانسانية ولكنه نقل لنا الجو السائد هناك وروى القصة بشكل أفضل وبأسلوب مشوق أكثر مما فعله سابقوه [4].

---

[1] حورية عبد الإله السملي ، المرجع السابق ، ص73.

[2] نفسه، ص91.

[3] نفسه ، ص92.

[4] روبن بدول : المرجع السابق ، ص62

لقد تحدث بيرتون عن الرحالة الغربيين الذين زاروا مكة قبله، وأنهم كتبوا عن تجاربهم، وأن الجديد الذي أمكنه إضافته إلى ما كتبه السابقون هو أداؤه فريضة الحج مثل المسلمين الآخرين وهذا ما لم يتيسر للرحالة السابقين، كما امتاز على كثير ممن سبقوه بزخم متراكم من الثقافة الأوروبية، وبحكم هويته وبمثابرته على تنمية محصلته منها القراءة الجادة التي كان عادة ما يحاول أن يمتحنها بالتجربة التي يؤمن بأنها معلمه الأول الموثوق به، أما الثقافة العربية الاسلامية فقد عرف منها ما يتصل بمهمته في شغف لا مزيد فوقه واطلع على أمهات الكتب في هذا المضمار ولكن بلا مرشد ولا معلم، فأخطأ أكثر مما أصاب، ولم يكتف بذلك، بل خالط المسلمين والعرب في أوطانهم، كان دقيق الملاحظة يراعي في تصرفاته أبسط الأشياء، فجاءت كتاباته في الموضوعات الحسية الملموسة أكثر صدقا من كتابات الكثيرين من أمثاله[1].

وتبقى كتابات الرحالة، مع ما فيها من محاذير مصدرا لا غنى عنه لدارس التاريخ، وذلك لأن هؤلاء الرحالة قدموا إلى المنطقة في أوقات لم يدون معظم تاريخها، كما أنهم جاؤوا من ثقافات مختلفة ومعظمهم من العلماء، ولذا فإن كتاباتهم في معظمها تتسم بالنضج العلمي، واشتملت على موضوعات اجتماعية واقتصادية، غالبا ما تهمل في الكتابات المحلية في حالة توافرها، ورصد كل رحالة مشاهداته وانطباعاته عن المجتمع أثناء مروره و إقامته في المنطقة، كما أن هؤلاء الرحالة ينظرون إلى مجتمعاتنا من زاوية مختلفة[2]، فالرحالة الذي تصلنا أدبياته هو الشاهد الوحيد الذي نجد عنده التاريخ حيا، فالباحث لا يمكنه أن يجد في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف للمشاعر وقراءة الوجوه، وهذه من الجوانب الانسانية الغائبة في كثير من الكتابات التاريخية، ومتى ما أُخضعت كتابات الرحالة للنقد العلمي صارت آمنة الاستخدام، لأن المؤرخ في هذه الحالة يضع ذاتية الرحالة جانبا،

[1] عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: المرجع السابق،ج2 ، ص31،68.

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص83.

ويستقي من موضوعيته ما يفيد، فالرحالة يمسك باللحظة التاريخية وقت حدوثها لتبقى حية إلى أن تصل إلينا، فمع الرحالة نستحضر الماضي حيا كما رآه بنفسه وكما سجله بقلمه[1].

المبحث الثالث : نقد تاريخي

تشكل كتابات الرحالة ومذكراتهم جنسا أدبيا راقيا يعكس الوضع الاجتماعي للأفراد والجماعات، ويرصد الأوضاع الثقافية والسكانية والفكرية والحضارية السائدة في البلدان التي زارها الرحالة، وتأسيسا على ذلك فلا غرو أن يعتبر هذا النوع من الأدب الوسيلة الأكثر قدرة على رصد مشاهدات الرحالة لمختلف جوانب الحياة والطبيعة، وتوثيقها بالكلمة والوصف من خلال رؤيتهم لها، هذه الرؤية التي يفترض فيها الحياد، ولكنها غالبا ما جاءت مفعمة بمشاعر الرحالة، وهذا ما جعلها مؤثرة في أسلوبها وممتعة في تفاصيلها، كما أنها توثق المواقف والعادات والسلوكيات التي تبدو عادية لدى السكان المحليين في حين هي غاية في الأهمية في دراسة تطور أنماطها الثقافية، وعلى هذا النحو يوفر الرحالة مادة علمية قيمة للدراسات الاجتماعية والأنتروبولوجية لمن يأتون بعدهم من الباحثين والدارسين[2].

لكن ما سجله الرحالة عن المناطق التي زاروها وسكانها وطباعهم وسلوكهم، يحتاج إلى دراسة ناقدة متأنية لأنه لا يمكن أن يتيسر لرحالة يمضي بضعة أشهر أو سنوات قليلة مع أناس يرونه أجنبيا فيظهرون له جزءا بسيطا من ثقافتهم ويخفون عنه أشياء كثيرة، ولهذا فإن بعض كتب الرحالة تتضمن الكثير من المعلومات العامة، وبعضها لا رابط يجمع موضوعاتها، وتميز بعضها بنضج معرفي،

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة مصدر تاريخي، المرجع السابق، ص73.

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص15.

وبتركيز على موضوعات بعينها، ولكن يظل بعضها يحمل سمة العمومية، ذلك أن أهداف بعض الرحلات العلمية قد تخفي وراءها أهدافا أخرى [1].

وكتابات الرحالة تصطبغ دائما بالانطباعية الخالية أحيانا من التحليل الموضوعي، وأحيانا أخرى تكون سطحية في تفحصا للأمور، فالمجتمعات البشرية تختلف في العادات والتقاليد والمعتقدات والثقافات ، وهي أمور عرضة للتشويه من قبل الزائر القادم من ثقافة أخرى (الغربية منها خاصة)، وبشكل أكثر تحديدا كتابة التاريخ في ضوء ما جاء في كتابات الرحالة وتقارير المبعوثين الأجانب بوصفها مصدرا من مصادر التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي [2].

وهنا تدعونا الحاجة إلى دراسة نقدية لما قدمه الرحالة من معلومات سمعوا بها أو رأوها تبعا لأغراضهم ومراميهم، فالرحالة وهو يكتب إنما يقدم الحقيقة التاريخية بأسلوب قد يخلط فيه مشاعره الخاصة، فيمتزج عنده الذاتي بالموضوعي، وهو ما يحتاج إلى دراسة تحليلية متأنية ناقدة، كما يؤكد ضرورة إخضاع كتاباته للنقد التاريخي للنظر إليها بعين فاحصة وفكر قادر على التحليل والتعامل مع وجهات نظر متعددة، كما لا ينفي أن ما قدموه لتاريخ المنطقة من وثائق مدونة تقدم لنا صورة حية لفترة مضت ولن تعود، على أن إيراد أغلب الرحالة لبعض المعلومات المضللة دون التثبت منها، أو ذكر مصدرها ، خلق بلا شك جوا من عدم الثقة في كتاباتهم [3] .

وفيما يلي الأسباب التي تجعل كتابات كثير من الرحالة غير دقيقة :

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص15.
[2] المرجع نفسه ، ص84
[3] نفسه ، ص84-85

- الطابع الفردي الذاتي، حيث يعتد الرحالة بالتجارب والمواقف التي خاضها أثناء رحلته، واعتبارها شيئا طريفا جديرا بالتسجيل، والرحالة وهو يكتب على هذا النحو إنما يقدم لنا الحقيقة التاريخية بأسلوب قصصي، قد يخلط فيه بين مشاعره الخاصة وبين الحقيقة، فيمتزج عنده الذاتي بالموضوعي.

- قصر مدة إقامة الرحالة، فجل الرحالة أمضى فترة زمنية قصيرة في المناطق التي زارها وكون انطباعات سريعة من خلال سؤال البعض أو من خلال المعاينة المتعجلة، ولا تتميز معلوماتهم دائما بالرسوخ، ولذا يميلون إلى إضافة ملاحظاتهم من خلال إدراج الأقوال المتواترة والمنقولة دون التحري عن دقتها.

- الحس السياسي، فمعظم الرحالة سياسيون بالدرجة الأولى، ولهذا جاءت كتاباتهم مفعمة إلى حد كبير بالقضايا السياسية وتراوحت المعلومات والأفكار السياسية التي اندرجت فيها بين التقارير الشبيهة بتقارير المخابرات عن كبار الشخصيات المحلية، فكتابات الرحالة في المقام الأول (مشورة لصانع السياسية)، وبالتالي فإن مسألة الحس المنهجي وما ينبغي أن يمتاز به من تدقيق وأمانة علمية تكفلت بها السلطة الاستعمارية.

- بعض الرحالة غير منصفين، فليس كل الرحالة معصومين في كتاباتهم من الخطأ، ومن ثم نجدهم في بعض الأحيان يدعمون رواياتهم بالأسانيد والبراهين الدالة على صدقها، كما أن كتاباتهم غير محايدة، فقد احتوت على إشارات متحاملة على المسلمين، ومن ثم يتطلب الأمر الحيطة والحذر في معالجة رواياتها، وعدم الأخذ بها كحقيقة تاريخية واقعة مسلم بها[1].

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص85-92.

- كتاباتهم غير محايدة، فقد احتوت على اشارات متحاملة تجاه المسلمين، ومن ثم يتطلب الأمر الحيطة والحذر في معالجة مثل تلك الروايات، وعدم الأخذ بها كحقيقة تاريخية واقعة، على الرغم مما قدمته من حقائق، وربما يرجع ذلك لجهلهم بأحوال البيئة العربية[1].

وعلى الرغم من إدراكنا أهمية مؤلفات الرحالة كمصدر تاريخي، فإن المحاذير السابقة تجعل الباحث يدرك أن لها إيجابيات وعليها سلبيات معينة، ولذلك يتطلب الأمر التعامل معها من خلال الزاويتين معا، وبالتالي يصعب قبول كل ما فيها دون تمحيص أو تدقيق، أو مطالعتها بعقلانية وموضوعية، فليس كل ما تركه الرحالة عدلا وصدقا، ومن ثم يتطلب الأمر دراسة الرحالة وتصنيفهم وفقا لأهدافهم وغاياتهم والبلدان التي جاؤوا منها وتحديد زمن الرحلة والظروف السياسية التي أحاطت بها حتى تكتمل الرؤية عند إخضاع كتاباتهم للنقد التاريخي[2].

فالقارئ العربي كثيرا ما تعتريه حالة من الريبة والشك حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة لا تتفق مع المنطق القويم في شيء، فالحق يجب قبوله أيا كان مصدره، والرحالة – بحكم بعدهم عنا وجهلهم لأحوالنا في الماضي– تشوب كتاباتهم شوائب من الخطأ لا ينبغي أن تكون حائلا بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يكتب عن بلادنا وتاريخنا لنقبل الحق وننتفع به، وننفي الزيف ونرفضه[3].

و من المفيد أن ننظر إلى هذه الرحلات التي قام بها هؤلاء الغربيون إلى البلاد الاسلامية من خلال :

[1] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة مصدر تاريخي ، المرجع السابق ، ص86

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص96.

[3] جاكلين بيرين : المرجع السابق ، ص16

1. فلسفة الاستعمار :

لقد نظمت معظم هذه الرحلات في ظل حماية الدول المستعمرة ورعايتها، ومن هذا المنطلق فقد كان هدف كل الرحلات المتجهة إلى الشرق تقديم المعلومات الجغرافية عن الأماكن التي لم تكتشف جغرافيا، وهذا يجعلنا ننظر إلى هذه الرحلات على أنها تمت داخل إطار السياسة الاستعمارية وبتمويل من جهات استعمارية وتحت حماية استعمارية[1] .

وقد لعبت النظرة الأوروبية الاستعمارية التي تنظر بغطرسة وتعال وطمع في خيرات الشرق المجهول دورا في تشكيل النظرة المسبقة –على أن العربي إنسان متوحش– في مخيلة الغربي[2]، فالشرق يمثل الآخر البعيد المجهول، فظهر في أغلب الكتابات مشوها، وظهر الشرقي إما بدويا لا يعرف معنى الحضارة وإما جاهلا متخلفا يتصرف بوحشية، وتكررت هذه الصورة في جميع الكتابات الغربية اللهم إلا النذر اليسير الذي كتب بشيء من التجرد [3].

ومما لا شك فيه أن الرحالة والمستشرقين قد قدموا خدمات جليلة للحركة الاستعمارية، على اعتبار أنهم ينفذون أجنداتها النظرية بخصوص المعرفة العامة حول مجتمع الدراسة، ومما له صلة بإيضاح الدافع الاستعماري لدى الرحالة ما قام به بعضهم من خدمات مباشرة للاستعمار بتكليف من دوائر رسمية مثل "شركة الهند الشرقية" في شبه القارة الهندية، لذا فقد نجح الرحالة والمستشرقون في توظيف المؤسسة الإستشراقية الغربية في خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم وتمكين سلطانهم في بلاد المسلمين [4].

---

[1] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص36.

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص89.

[3] عبيد علي بن بطي : المرجع السابق ، ص8.

[4] جمال يزير : الحركة الوهابية في تمثلات الرحلة الاستشراقية –كتابات جون لويس بوركهارت أنموذجا– ، المجلة التاريخية الجزائرية ، المجلد 5 ، العدد 1 ، 2021 ، ص383.

2. الاستشراق :

لقد أعطى المفكر "**ادوارد سعيد**"[1] تعريفا للاستشراق وهو الدراسات الإستشراقية أو دراسة المناطق، مبررا الأسباب وراء ذلك، حيث حددها باثنين، الأول: أنه يتسم بقدر أكبر من الغموض والتعميم والثاني: أن من ظلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء، الذي كان رواد الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يتشبعون به، وذلك عن طريق الكتابات الأكاديمية والمذاهب الفكرية وقضايا الشرق حيث عقدت حولها المؤتمرات الكبرى [2].

ويمكن تقسيم الرحالة إلى فئتين، الأولى: لم ينتظم أفرادها في دراسة علمية أكاديمية نظامية أمثال بيرتون الذين نشأوا نشأة عسكرية بصفتهم جنودا وضباطا في جيوش بلادهم، وقدموا إلى الشرق في مهمات عسكرية اقتضتها سياسة بلادهم الاستعمارية، وعملهم الإستشراقي جزء لا يتجزأ من العملية الاستعمارية، وقد جمع الكثير منهم بين العمل السياسي والعسكري والعمل الإستشراقي، وعادة ما يبدأ هذا العمل الإستشراقي قبل القيام بالعملية الاستعمارية، فيدرسون البلد المستعمر، و ينفذون الجانب الثقافي والعلمي والفكري والاجتماعي من السياسة الاستعمارية الموضوعة لهذا البلد[3].

والفئة الثانية: هم أولئك الرحالة الذين ألحقوا بإحدى الكليات الشرقية في البلاد المستعمرة، حيث أضافوا بعدا علميا أكاديميا من خلال الحصول على درجات علمية في احدى مجالات الدراسات الشرقية، حيث تعلموا اللغة العربية أمثال بوركهارت، كما خبر معظم هؤلاء الحياة في البلاد العربية

---

[1] شخصية فلسطينية ، عضو المجلس الوطني الفلسطيني وأستاذ الأدب الإنجليزي ،والأدب المقارن في جامعة كولومبيا(عبد الوهاب الكيالي : المرجع السابق ، ص116).

[2] جمال يزير : المرجع السابق ، ص377.

[3] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص37-38

قبل دخولهم إلى الديار المقدسة من خلال العيش في بعض المدن العربية قبل السفر إلى الجزيرة العربية[1].

واستنادا إلى ما سبق نجد أن كتابات الفئة الأولى تندرج في أدب الرحلات التي تنطوي على وصف وملاحظات ومشاهدات وانطباعات شخصية يعوزها في كثير من الأحيان النظرة الأكاديمية المتأنية على خلاف الفئة الثانية التي دونت ملاحظاتها بصورة أكثر عمقا ووعيا فقد شاركوا في حياة الناس الذين عاشوا معهم ،واستطاعوا أن ينفذوا إلى أدق التفصيلات عن الحياة في المجتمع الاسلامي، وأن يدونوا بفطنة وكياسة وعمق جميع ما رأوه وما سمعوه وما عاشوه في بلاد الشرق وخاصة في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة [2].

3. الوجهة الاسلامية :

هناك ثلاثة أساليب اتبعها هؤلاء الرحالة كي يتسنى لهم الدخول إلى البلاد الاسلامية وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة:

- التنكر بالملبس الاسلامي وهي حالة يعدها الموقف الاسلامي خداع قام بها هؤلاء كي يتسللوا إلى الأراضي المقدسة ويعايشوا المسلمين في أداء فريضة الحج.

- إعلان الاسلام الظاهري من أجل إتمام الحج، ويكون ذلك من خلال إعلان الشهادة والالتزام الظاهري لأداء الفرائض والواجبات الاسلامية التي يمكن أن تؤدى بدرجة من الاتقان لا يمكن معها كشف عدم اسلام صاحبها .

[1] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص38.

[2] المرجع نفسه ، ص38

- إعلان الاسلام الفعلي، ويكون ذلك أمام القاضي الشرعي والشهود، وتجابهنا هنا مشكلة الردة عن الاسلام بعد إتمام الرحلة والعودة إلى الغرب، ونشر أخبار الرحلة من منطلق أنها رحلة مستشرق أو مستكشف مغامر اتخذ فيها الوسائل التي تمكنه من إتمام الرحلة[1] .

ورغم ذلك فإن كتابات الرحالة تتضمن حقائق تاريخية، حين نغض الطرف عن بعض التجاوزات، إلا أن هناك لحظات في ثنايا سردهم يتحدثون فيها باستحسان عن العادات العربية، فالرحالة الذي يلمز العرب في بعض صفحات كتابه، قد يبدي إعجابه بفصائلهم في صفحات أخرى من نفس الكتاب، ولا ينبغي للبحث الجاد أن يتجاهل أيا من الموقفين، فما يعنينا حقيقة للحكم النهائي على اتجاه ما، ليس مقدار هذا أو ذاك من التعليقات، بل على موقف الكاتب الأساسي والذي يعد المسؤول عن هذه التعليقات، فإذا أبدى الرحالة مظاهر عدائية للعرب في مستهل حديثه، فلا يهم كثيرا وجود اشارات تأييد عارضة في مؤلفه، لأن مثل هذه الإشارات لا تعد عوضا عن موقفه المتحامل[2] .

وفي الأخير يمكن اعتبار الرحلة شهادة على العصر وشاملة لجوانبه ومحتوياته كافة، و الرحلة وثيقة حية ونتاج معاينة ومعاناة، وفوق ذلك يمكن اعتبارها نتاج أذواق منقحة، و لذا فإن الاعتماد عليها مبرر، ومن ثم يعتبر أدب الرحلات إلى جانب قيمته الأدبية مصدرا مهما للدراسات التاريخية، فقد زودوا كتبهم بالخرائط والاحصاءات والاحداثيات الجغرافية [3].

لقد اتسمت كتابات الرحالة الغربيين بمناهج معينة، وهذه المناهج تختلف من رحالة إلى آخر ، فكل رحالة اتبع طريقة وأسلوبا معينا في عرض مادته الخبرية للرحلة التي قام بها في شبه الجزيرة العربية، كما تعتبر مؤلفاتهم ذات قيمة علمية كبيرة، فقد زودت المكتبات العربية بمصادر في غاية

[1] أغسطس رالي : المرجع السابق ، ص39-40.

[2] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة مصدر تاريخي، المرجع السابق ، ص91.

[3] علي عفيفي غازي : كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، المرجع السابق ، ص96.

الأهمية، خاصة في ظل النقص الذي عرفت المنطقة في تلك الفترة من الانتاج العلمي المحلي وخاصة ما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ورغم هذه الفائدة العظيمة التي تقدمها كتب الرحلة الغربية، إلا أنها لا تخلو من محاذير، لذلك يجب اخضاع مؤلفاتهم للنقد التاريخي.

خاتـمة

من خلال دراسة رحلات الأوروبيين الى شبه الجزيرة العربية، تم التوصل لعدة نتائج لعل أبرزها مايلي :

بيان القيمة التاريخية للرحلات الأوروبية من خلال الاعتماد عليها في معرفة التاريخ الحضاري لما تحتويه من معلومات مهمة عن أوضاع شبه الجزيرة العربية.

أكد الرحالة الذين اعتمدوا في تدوين رحلاتهم على مشاهداتهم المباشرة أو ما سمعوه عن منطقة شبه الجزيرة العربية إبان الرحلة.

تم التركيز على أغلب الدوافع والأسباب الفعلية للرحلات نحو الجزيرة العربية، ورغم اختلاف جنسياتهم إلا أنهم اشتركوا في هدف واحد وهو خدمة المصالح السياسية والاقتصادية لبلدانهم .

تناول الرحالة موضوع البحث كل ما يتعلق بالحياة العامة لمجتمع الجزيرة العربية ابتداء بوصف نظام الحكم الغير معقد، والجهاز الاداري المحلي وصولا إلى تنوع فئات المجتمع العربي وأسلوب المعيشة وتأثير هذا التنوع على عادات وتقاليد مجتمع المنطقة.

اهتمت كتابات الرحالة الأوروبيين كثيرا بنمط العيش ومراسيم الزواج والختان ومراسيم الزواج و مكانة المرأة ، كما أشارت الرحلات إلى المنازل والعمران والأبعاد المختلفة للمجتمعات .

لقد تميزت كتابات الرحالة الغربيين عن شبه الجزيرة العربية بالتنوع في استعمال المناهج، حيث كان لكل رحالة طريقة وأسلوبا معينا في عرض مادته الخبرية .

أما عن أهم التوصيات التى يمكن أن يوصي بها البحث فتمثلت فيما يلي :

زيادة تسليط الضوء على كتب الرحالة الأوروبيين، لما تحتويه من معلومات قيمة تتعلق بتاريخ منطقة شبه الجزيرة العربية .

محاولة التعامل مع ما كتبه الرحالة الأوروبيون بميزان الناقد المعتدل، حتى نستطيع أن نكتشف المعلومات الصحيحة من كتاباتهم التي تخدم التاريخ العربي والاسلامي .

الملاحـق

ملحق رقم 1: صورة للرحالة كارستن نيبور بلباس أهل الشرق[1].

كارستن نيبور

[1] نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها،ج1، المصدر السابق، ص147

ملحق رقم 2: صورة للرحالة بوركهارت [2].

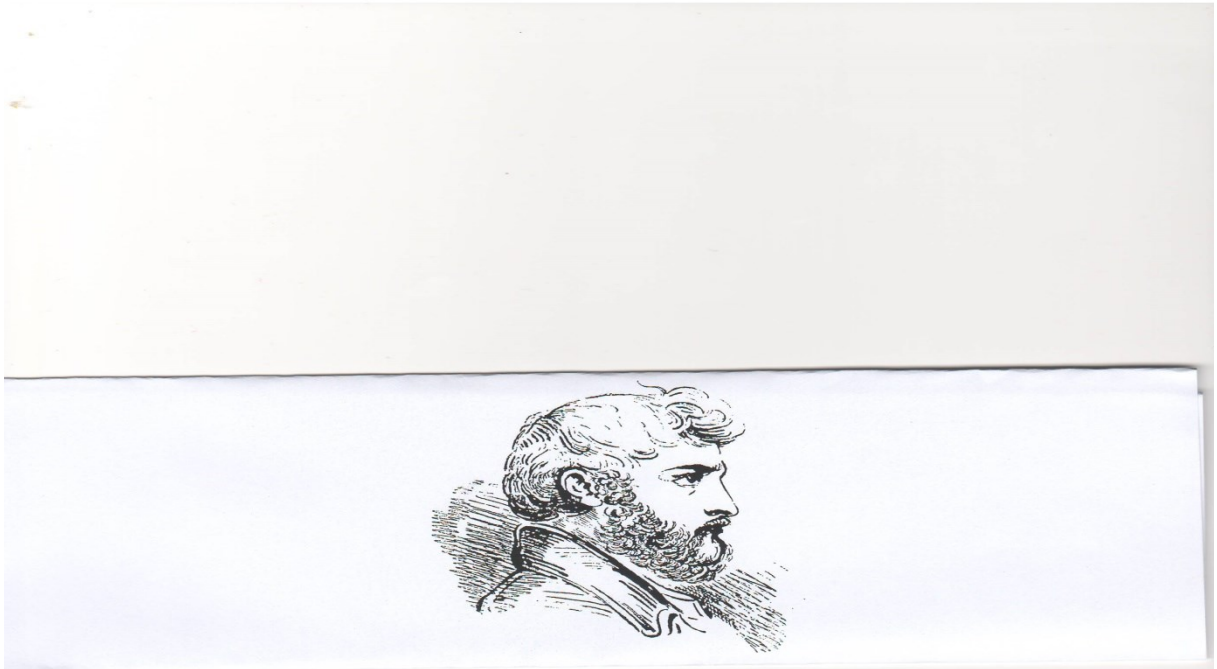

[2] أغسطس رالي: المرجع السابق، ص127

ملحق رقم 3: مخطط لمكة المكرمة من انجاز بوركهارت[3].

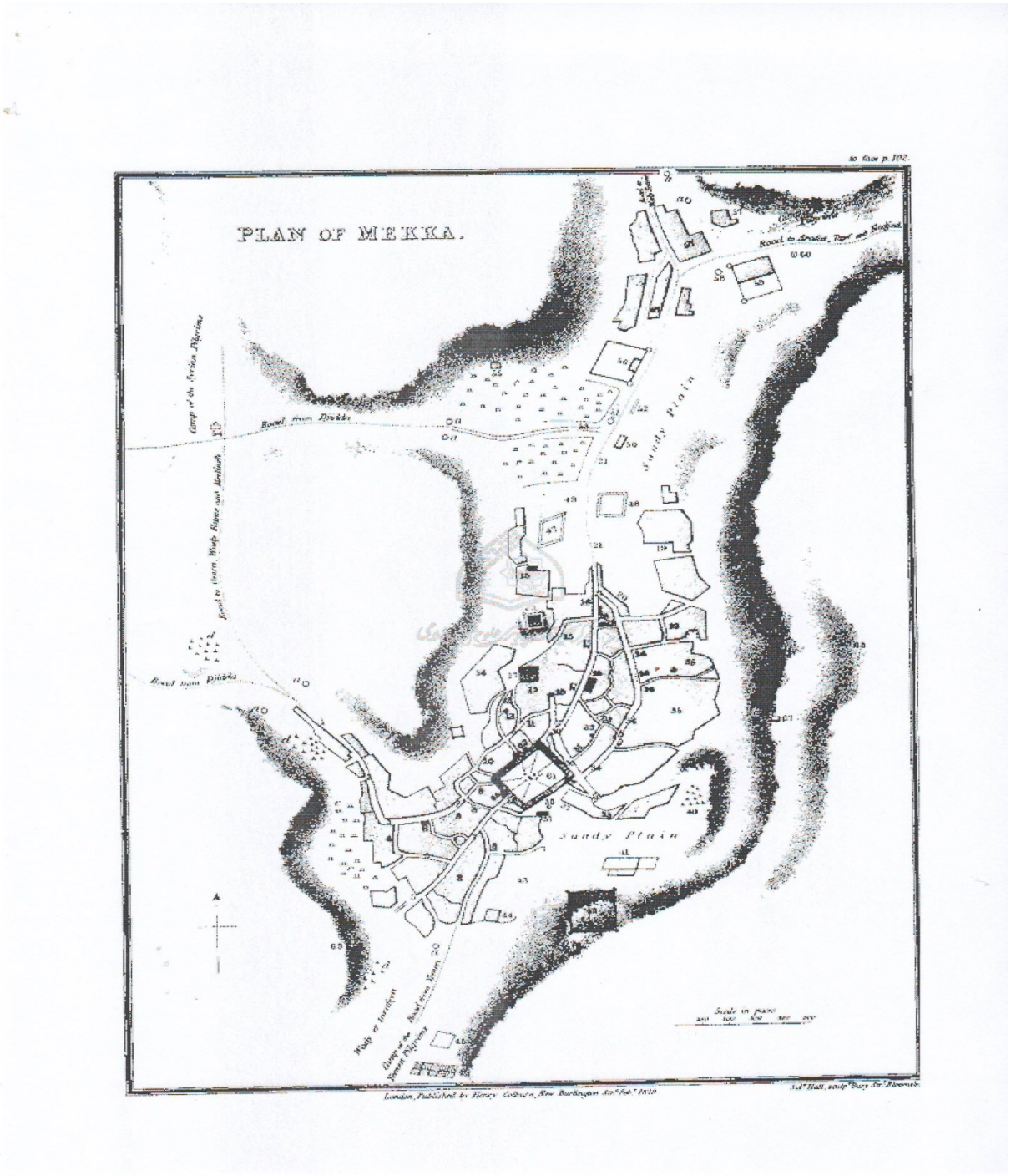

[3] بوركهارت: المصدر السابق، ص90

ملحق رقم 4: شرح مخطط مكة المكرمة[4].

١ ـ حي جرول	٢ ـ حي الباب	٣ ـ حي شبيكه
٤ ـ الخندريسة (حي)	٥ ـ حي الحجلة	٦ ـ منزل للشريف
٧ ـ الحي المدعو «سوق الصغير»	٨ ـ الحي المدعو «المسفلة»	٩ ـ حي باب العمرة
١٠ ـ حي الشامية	١١ ـ حي السويقه	١٢ ـ حي قراره
١٣ ـ منزل عائلة جيلاني	١٤ ـ حي شبه مهدّم يسكنه الفقراء	١٥ ـ حي ركوبه
١٦ ـ وادي النقا	١٧ ـ قصر الشريف الرئيسي	١٨ ـ حي السليمانية
١٩ ـ حي شعب عامر	٢٠ ـ شارع الجدادين	٢١ ـ حي المعلا
٢٢ ـ مسجد صغير	٢٣ ـ حي المعامله	٢٤ ـ حي غزّه
٢٥ ـ حي شعب المولد	٢٦ ـ حي سوق الليل	٢٧ ـ حي المدعه
٢٨ ـ متجران للحنطة	٢٩ ـ المروه	٣٠ ـ المسعى
٣١ ـ حي زقاق الحجر	٣٢ ـ مولد بنتا فاطمة	٣٣ ـ درب الصيني
٣٤ ـ حي القشاشية	٣٥ ـ حي شعب علي	٣٦ ـ الصفا
٣٧ ـ منزلان للشريف	٣٨ ـ آبار للمياه المالحة في أجزاء مختلفة من المدينة	٣٩ ـ حي الجياد
٤٠ ـ أكواخ يسكنها عبيد الشريف	٤١ ـ قصر الشريف ويدعى بيت السعاده	٤٢ ـ القلعة الكبرى
٤٣ ـ حي مهدّم	٤٤ ـ خان مهدّم للحجاج اليمنيين	٤٥ ـ بركة معجن، حوّزان للحجاج اليمنيين
٤٦ ـ بعض الحقول المزروعة	٤٧ ـ بركة الشامي	٤٨ ـ بركة المصري
٤٩ ـ حقول مزروعة	٥٠ ـ منزل للشريف	٥١ ـ مقام ابن طالب
٥٢ ـ خزّان ماء كبير مليء من مياه القناة	٥٣ ـ طريق معبّدة تؤدي إلى شيخ محمود	٥٤ ـ شيخ محمود عند مرضع تخييم القافلة السورية
٥٥ ـ قبر خديجة زوجة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ	٥٦ ـ قصر كبير للشريف يستعمل كثكنة	٥٧ ـ مناحية تدعى معابده
٥٨ ـ سبيل عام من مياه القناة	٥٩ ـ منزل صيفي للشريف مع حديقة	٦٠ ـ بئر
٦١ ـ المسجد الكبير المدعو «الحرم»	٦٢ ـ منزل القاضي مُلحق بالمسجد	٦٣ ـ قبر سيد عجيل، تاجر كبير، مُلحق بالمسجد
٦٤ ـ مساكن كانت تخص أصلاً مدرسة حكومية، حيث يسكن الباشاوات القادمون إلى مكة	٦٥ ـ جبل هندي	٦٦ ـ الجبل المدعو جبل لعلع أو جبل قعيقعان
٦٧ ـ جبل أبو قبيس	٦٨ ـ أعلى قمم جبال مكة وتُدعى خندمة	٦٩ ـ جبل غمّر أ ـ أبراج مراقبة مستديرة في أجزاء مختلفة ب ـ حمامات في أحياء مختلفة ج ـ مقابر؛ تُدعى الأولى شبيكة والأخرى المعلا د ـ مخيمات صغيرة للبدو هـ ـ سبيل ماء من مياه القناة

[4] بوركهارت: المصدر السابق، ص91

ملحق رقم5: مخطط للمدينة المنورة من انجاز بوركهارت[5].

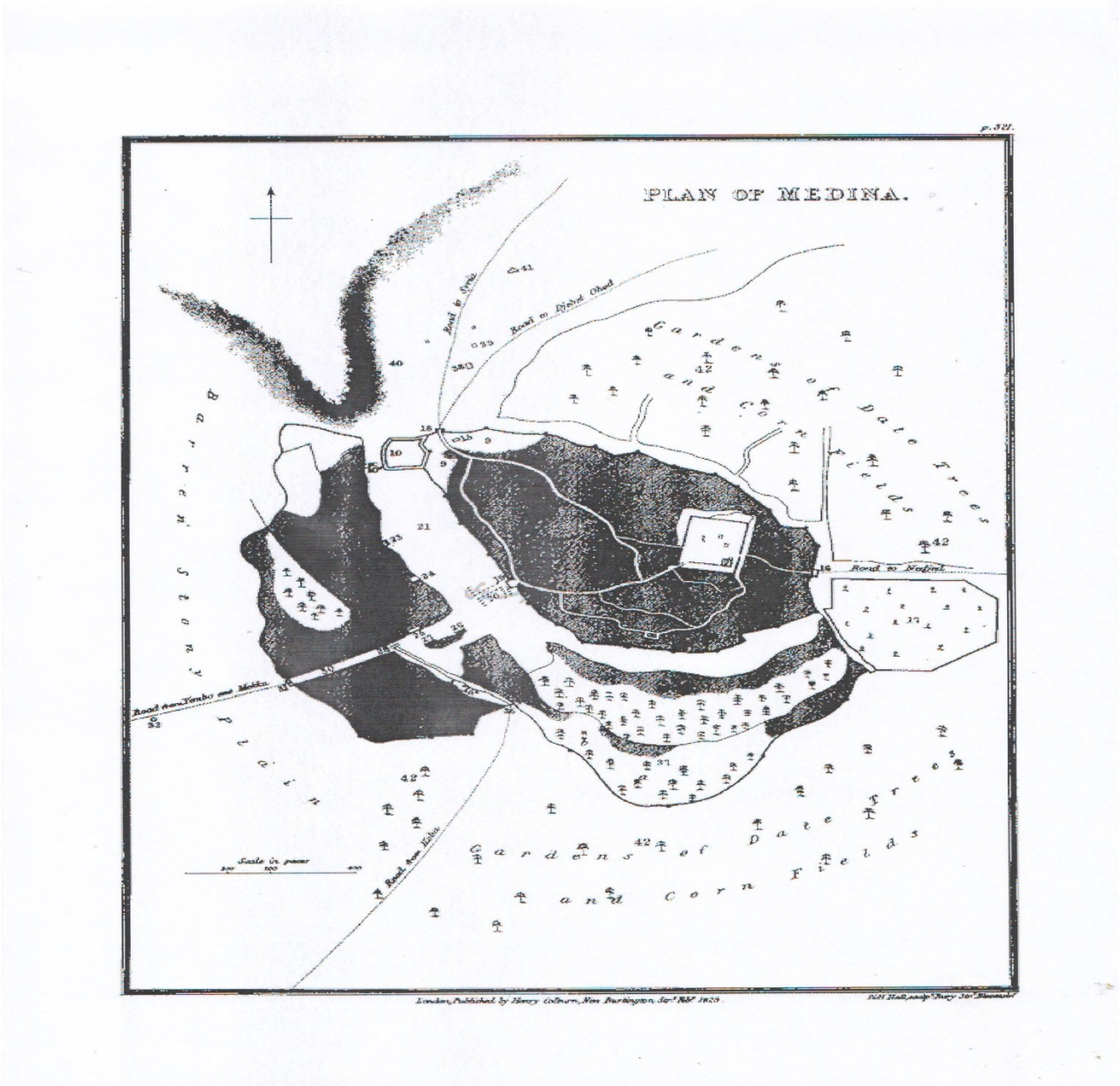

[5] بوركهارت: المصدر السابق، ص267

ملحق رقم6 : شرح مخطط المدينة المنورة [6].

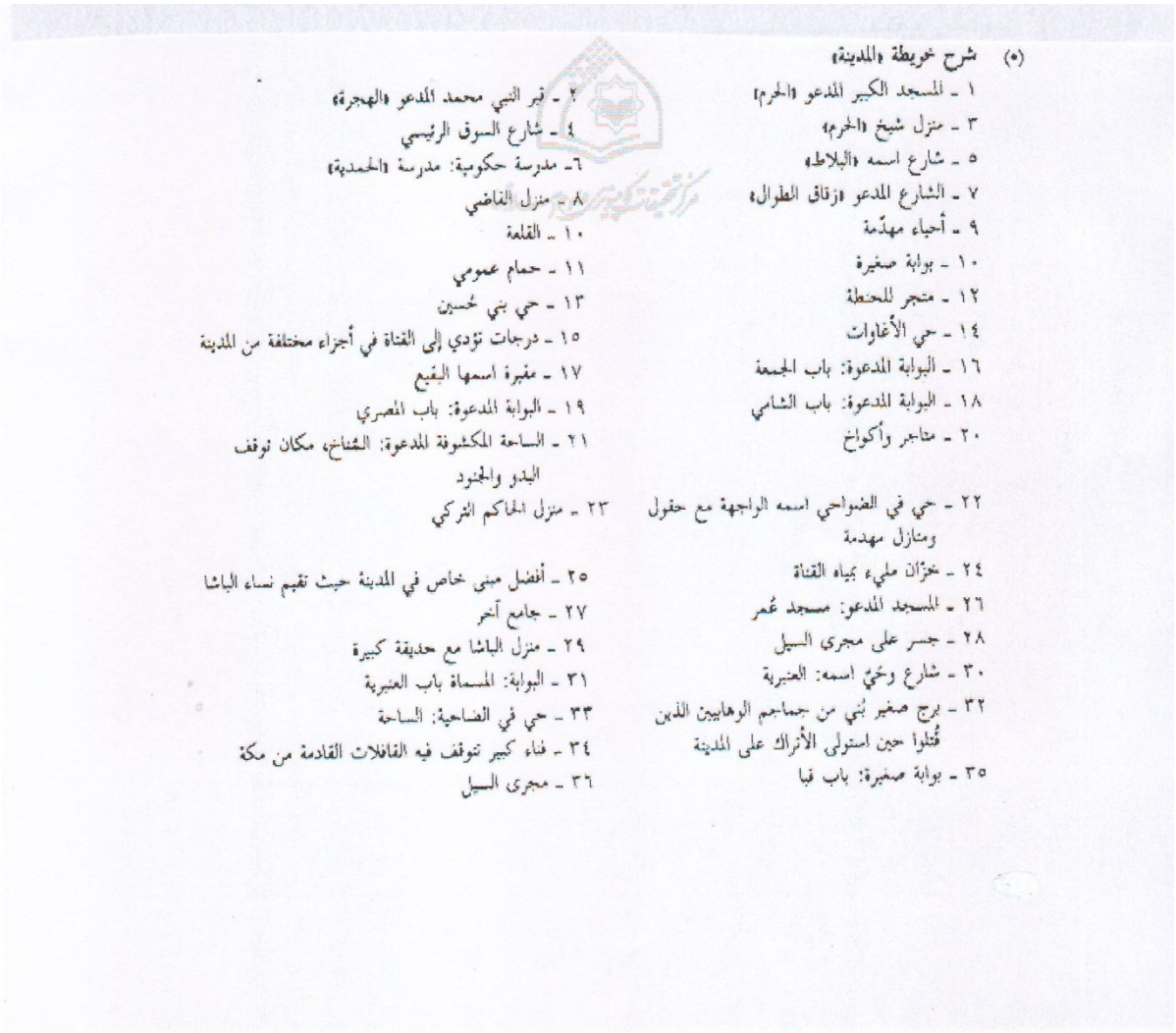

(٠) شرح خريطة «المدينة»

١ ـ المسجد الكبير المدعو «الحرم»
٢ ـ قبر النبي محمد المدعو «الهجرة»
٣ ـ منزل شيخ «الحرم»
٤ ـ شارع السوق الرئيسي
٥ ـ شارع اسمه «البلاط»
٦ـ مدرسة حكومية: مدرسة «الحمدية»
٧ ـ الشارع المدعو «زقاق الطوال»
٨ ـ منزل القاضي
٩ ـ أحياء مهدّمة
١٠ ـ القلعة
١٠ ـ بوابة صغيرة
١١ ـ حمام عمومي
١٢ ـ متجر للحنطة
١٣ ـ حي بني حُسين
١٤ ـ حي الأغاوات
١٥ ـ درجات تؤدي إلى القناة في أجزاء مختلفة من المدينة
١٦ ـ البوابة المدعوة: باب الجمعة
١٧ ـ مقبرة اسمها البقيع
١٨ ـ البوابة المدعوة: باب الشامي
١٩ ـ البوابة المدعوة: باب المصري
٢٠ ـ متاجر وأكواخ
٢١ ـ الساحة المكشوفة المدعوة: الشناخ، مكان توقف البدو والجنود
٢٢ ـ حي في الضواحي اسمه الواجهة مع حقول ومنازل مهدمة
٢٣ ـ منزل الحاكم التركي
٢٤ ـ خزّان ملىء بمياه القناة
٢٥ ـ أفضل مبنى خاص في المدينة حيث تقيم نساء الباشا
٢٦ ـ المسجد المدعو: مسجد عُمر
٢٧ ـ جامع آخر
٢٨ ـ جسر على مجرى السيل
٢٩ ـ منزل الباشا مع حديقة كبيرة
٣٠ ـ شارع وحيّ اسمه: العنبرية
٣١ ـ البوابة: المسماة باب العنبرية
٣٢ ـ برج صغير بُني من جماجم الوهابيين الذين قُتلوا حين استولى الأتراك على المدينة
٣٣ ـ حي في الضاحية: الساحة
٣٥ ـ بوابة صغيرة: باب قبا
٣٤ ـ فناء كبير تتوقف فيه القافلات القادمة من مكة
٣٦ ـ مجرى السيل

[6] بوركهارت: المصدر السابق، ص268

ملحق رقم 7: خريطة الخليج العربي التي أنجزها نيبور[7].

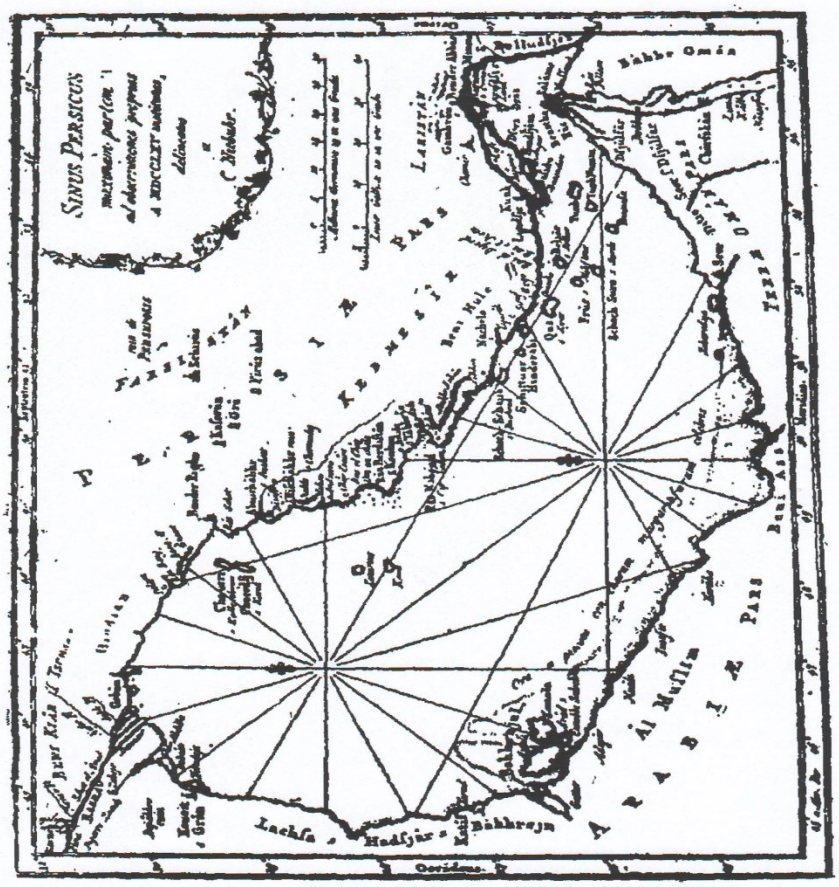

[7] . جاكلين بيرين: المرجع السابق، ص167

ملحق رقم 8: صورة توضح أنواع القبعات التي يرتديها أهل الشرق[8].

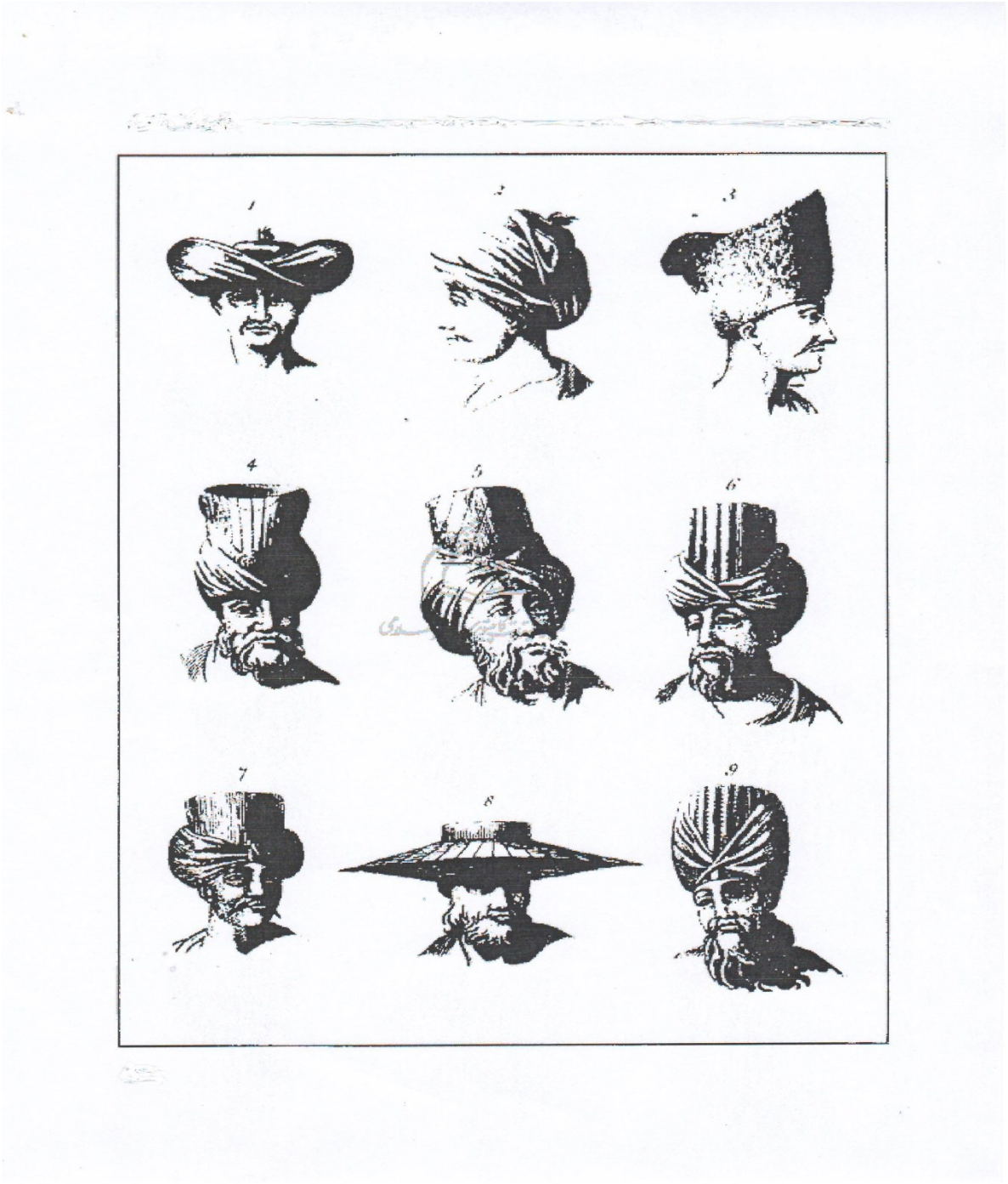

[8]. نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها،ج1المصدر السابق، ص129

ملحق رقم 9: صورة توضح رجلا بلباس الاحرام[9].

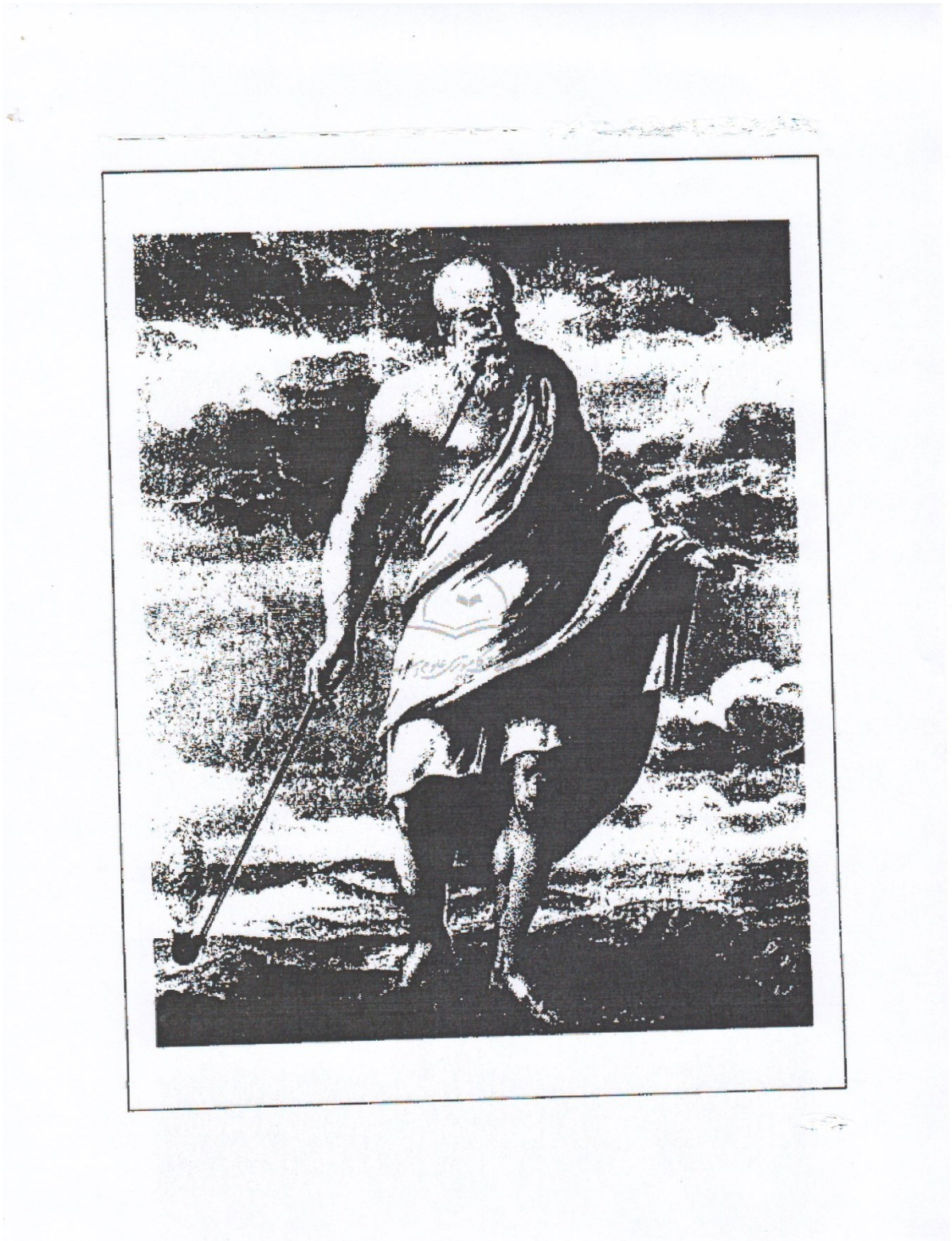

[9]. نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها،ج1المصدر السابق، ص228

ملحق رقم 10: صورة توضح امرأة تبيع الخبز[10].

[10] نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها،ج1المصدر السابق، ص242.

ملحق رقم 11: صورة توضح صيادا للسمك[11].

[11]. نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها،ج1المصدر السابق، ص239

ملحق رقم 12: مخطط للمدينة المنورة من انجاز الرحالة بيرتون[12].

الصورة رقم ٧٣
المخطط الذي رسمه بيرتون للمدينة المنورة (١٨٥٤)

[12] ديفيد جورج هوجارث: المرجع السابق، ص407

قائمة المصادر والمراجـع

القرآن الكريم

- **المصادر :**

1) بوركهارت جون لويس : رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة :هتاف عبد الله ، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت (لبنان) ، 2005م.

2) بيرتون رتشارد: رحلة بيرتون الى مصر والحجاز ، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 م.

3) تايلر جون : رحلة تايلر الى العراق ـ سنة 1789م الى 1790 م، ترجمة بطرس حداد، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ، 1982 م.

4) نيبور كارستن: رحلة الى شبه الجزيرة العربية والى بلاد أخرى مجاورة لها ، تر: عبير المنذر ، ج 1 ، ط 1 ، دار الانتشار العربي ، بيروت(لبنان) ، 2007م.

5) نيبور كارستن: رحلة نيبور إلى العراق في القرن 18م ، تر: محمود حسين الأمين ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد (العراق)،د ط ، 1965م.

- **المراجع :**

1) ابراهيم عبد العزيز عبد الغني: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية ،ج1(1500-1840) ، ج2 (1850-1880)،ط1 ، دار الساقي ، بيروت(لبنان) ، 2013م.

2) بدول روبن: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ، ترجمة : عبدالله آدم نصيف ، د ط ، مكتبة جامعة اليرموك ، الرياض(السعودية) ، 1989م.

3) بن بطي عبيد علي: كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور(ندوة)، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي (الامارات)، 1996م.

4) بيرين جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب، تر: قدري قلعجي، دط ، دار الكتاب العربي، بيروت(لبنان)، دس ط.

5) الجاسر حمد : رحالة غربيون في بلادنا ، ط 2 ، دار الوفاء ، الاردن ، 2000م.

6) الحصري ساطع: الدولة العثمانية و البلاد العربية ، د ط ، د د ن، القاهرة (مصر)، 1960م

7) رالي أغسطس: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة: حسن سعيد غزالة، دط، دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ،د س ط.

8) الركيبي عبد الله : تطور النثر الجزائري الحديث ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1912م.

9) السبيعي عبد الإله ناصر: اكتشاف النفط و أثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ، ط4 ، عمان ، 1987 م

10) السمرة محمود: غربيون في بلادنا ، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، 1999 م.

11) الشريف محمد بن حسن بن عقيل موسى : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة ، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة(السعودية) ، مج2، 2000م.

12) الشيخ رأفت: تاريخ العرب الحديث ، دار الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ، 1994م.

13) ابو العلاء محمود طه: جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ج1 ، دط، د د ن ،القاهرة ،1956م.

14) أبو عيانه فتحي محمد: دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العرب ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية (مصر)، 1994م.

15) غازي علي عفيفي: كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية ، ط1 ، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع ، دبي(الامارات) ، 2020 م.

16) غازي علي عفيفي: بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، تقديم : محجوب الزويري، ط1، الرافدين ، بيروت (لبنان) ، 2016م.

17) غازي علي عفيفي : كتابات الرحالة مصدر تاريخي ،دط ، كتاب المجلة العربية ، الرياض(السعودية)، 2018م.

18) عطاالله سمير: قافلة الحبر (الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762-1950)، ط1 ، دار الساقي ، بيروت (لبنان)، 1994م.

19) مهران محمد بيومي : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م.

20) وهبة حافظ: جزيرة العرب في القرن 20م ، دط ، د د ن ، القاهرة (مصر)، 1967 م

21) الهلال محمد غنيمي: الأدب المقارن ، ط5 ، دار العودة ، بيروت (لبنان)، 1987

22) هوجارث ديفيد جورج: اختراق الجزيرة العربية(سجل لمعرفة الغرب بشبه الجزيرة العربية)، تر: صبري محمد حسن،ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة(مصر)، 2009م.

- **الرسائل الجامعية :**

1) بادشاه حافظ محمد: الحجاز في أدب الرحلة العربي ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة ، اسلام أباد (باكستان)، 2013

2) السملي حورية عبد الإله: كتابات الرحالة الأوروبيين مصدرا للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 2013م.

3) نبيل كمال سهير: سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها(1816-1840م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل(العراق) ، 2003م.

- **المجلات :**

1) بدر عبد الباسط عبد الرزاق : وصف المدينة المنورة عام 1230 هـ لبوركهارت ، مجلة مركز البحوث و دراسات المدينة المنورة ، العدد 3 ، 2003 م.

2) الرويعي جاسم: تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوربي من خلال الرحلات الأوروبية ، مجلة الفياض ، ع 65 ، 2001م.

3) سعدي خميسي : الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي رحلة الدكتور شو أنموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5 ، ع 1 ، 2001م.

4) عامر محمود: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 117و 118 ، ماي ، 2012م.

5) غازي علي عفيفي: رحالة زاروا الامارات والعراق، ط 2، دار المعرفة ، بيروت (لبنان)، 1997 م.

6) قايد الصاعدي أحمد: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، 1999م.

7) المجنوني ماجدة عطية الله أحمد: منهج الكتابة التاريخية عند الرحالة الغربيين في منطقة الأحساء من 1910 إلى 1930م ، مجلة العلوم لإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 4 ، العدد 6 ، جوان 2020م.

8) المسعودي ياسين خيضر حسن: وصف المستشرق الألماني كارستين نيبور لمدينة الموصل، مجلة وزارة التربية، بغداد (العراق)،2001م.

9) يزير جمال : الحركة الوهابية في تمثلات الرحلة الاستشراقية -كتابات جون لويس بوركهارت أنموذجا- ، المجلة التاريخية الجزائرية ، المجلد 5 ، العدد 1 ، 2021م.

- **المعاجم والقواميس:**

1) البلادي عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، ط2، دار مكة للنشر والتوزيع ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.

2) العفيفي عبد الحكيم: موسوعة1000 مدينة اسلامية ، ط1 ، مكتبة الاسكندرية ، مصر، 2000م.

3) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ،القاهرة (مصر) ،مج4 ، ط1، 2008م.

4) الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة ، دس ط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، ج7 ، دت.

5) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ،ط4 ،مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، 2004م.

6) ابن منظور : لسان العرب ،ط 3 ، بيروت ، 1993م .

- **المراجع الأجنبية:**

1) Facey William : Pilgrim Pioneers (Britons on Hajj before 1940)، article from a book : Venetia Porter and Liana Saif (Collected essays , British Museum ,London ,2013.

2) Low Michael Christopher : Empire and the HAJJ: pilgrims, plagues, and pan-Islam under British surveillance (1865-1908) , *Cambridge University Press* ,2008

3) Ryad Umar : The Hajj and Europe in the Age of Empire ,BRILL, LEIDEN(BOSTON).

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	أ – و
مدخل	8
أولا: الأوضاع العامة في الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م	8
ثانيا : مفهوم الرحلة و دوافعها المتعددة	11
ثالثا : قيمة الرحلات وأهميتها	14
الفصل الأول: الرحلات الأوروبية نحو الجزيرة العربية خلال القرنين 18م و19م	
المبحث الأول: رحلات القرن 18م	17
المطلب الأول: رحلة كارستن نيبور	17
أولا: التعريف بالرحالة	17
ثانيا: وصف الرحلة	18
ثالثا: الهدف من الرحلة	20
المطلب الثاني: رحلة جون تايلر	21
أولا: التعريف بالرحالة	21
ثانيا: وصف الرحلة	21
ثالثا: القيمة العلمية للرحلة	22
المبحث الثاني: رحلات القرن 19م	23
المطلب الأول: رحلة جون لويس بوركهارت	23
أولا: التعريف بالرحالة	23
ثانيا: وصف الرحلة	24
ثالثا: الهدف من الرحلة	26
المطلب الثاني: رحلة رتشارد بيرتون	29
أولا: التعريف بالرحالة	29
ثانيا: وصف الرحلة	30
ثالثا: الهدف من الرحلة	32
الفصل الثاني: المجتمع العربي بعيون الرحالة	
المبحث الأول: نظام الحكم	36
المطلب الأول: الشريف وسلطته في مكة والمدينة	36
المطلب الثاني: دور القبيلة في المجتمع العربي	39

المطلب الثالث: المؤسسات الادارية	41
المبحث الثاني: تركيبة المجتمع	43
المطلب الأول: تركيبة مجتمع البدو والحضر	43
المطلب الثاني: تركيبة مجتمع المدينة المنورة	45
المطلب الثالث: تركيبة مجتمع مكة المكرمة	46
المبحث الثالث: العادات والتقاليد	49
المطلب الأول: عادات المجتمع في أداء الشعائر الدينية	50
أولا: في الحج	50
ثانيا: في رمضان	53
المطلب الثاني: لباس السكان	54
أولا: الرجال	54
ثانيا: النساء	57
المطلب الثالث: عادات المجتمع في الأعياد والمناسبات	58
أولا: في الزواج	58
ثانيا: في الأعياد والمناسبات الدينية	60
ثالثا: في الجنائز	61
الفصل الثالث: كتابات الرحالة الأوروبيين في الميزان	
المبحث الأول: منهج الرحالة في الكتابة	65
المطلب الأول: طغيان الثقافة النصرانية	65
المطلب الثاني: الروح العدائية للإسلام	67
المطلب الثالث: الدقة في التعبير والموضوعية في عرض الأفكار	68
المبحث الثاني: القيمة العلمية لمضمون الرحلات	72
المبحث الثالث: نقد تاريخي	79
الخاتمة	89
الملاحق	91
قائمة المصادر والمراجع	104
فهرس الموضوعات	109

الملخص:

إن قراءتنا للرحلات المشار إليها سابقا أوضحت لنا نظرة الأوروبي إلى الواقع العربي المسلم و كيفية التعامل معه بعد صدمة اللقاء، وأدركنا من خلالها التدرج في الإعجاب والإنبهار لدى الرحالة الأوروبيين الذين عايشوا الحياة اليومية واكتشفوا شبه الجزيرة العربية، إذ لم يأت إعجابا إنفعاليا دون تمحيص وتدقيق، حتى استطاعوا تكوين ملاحظات وآراء وتصورات ضمنوها في كتاباتهم التي أبرزت نوعا جديدا من أدب الرحلات، فقد تجاوزوا فيها الصيغ المتعارف عليها في الكتابة من سير وتراجم وجغرافيا و غيرها، وركزوا على الجوانب الاجتماعية والتاريخية التي علقوا عليها وحللوا أفكارها وناقشوا بعض إشكاليتها المطروحة من خلال مقارنتها للأوضاع الموجودة في مجتمعاتهم .

Summary:

Our reading of the trips referred to earlier showed us the European view of the Arab-Muslim reality and how to deal with it after the shock of the meeting, and we realized through it the gradual admiration and fascination of European travellers who lived daily life and discovered the Arabian Peninsula. They did not come emotionally impressed without scrutiny and scrutiny, so they were able to form observations, opinions and perceptions that they included in their writings that highlighted a new kind of travel literature, in which they went beyond the accepted formulas in writing from biographies, translations, geography, etc., and focused on the social and historical aspects on which they commented and analyzed their ideas and discussed some of their problems presented by comparing them to the situations in their communities.